

عبدو السلام محمد سحابة

طالب بكلية الآداب

الغناء والحركة

١٩٤١

obeykandl.com

## ﴿ مقدمة ونقد ﴾

للاستاذ محمد مندور المدرس بكلية الآداب

---

ليس أحب إلي النفس من تسقط حديث الشباب  
ما آنسنا في نفوسهم خيرا وما أعرف في مهنة التدريس أنبل  
من قيادة تلك الأرواح الفتيّة وجبهة نرضاها إذ أن المعرفة  
التي لا يحملها صوت ينبض حياة ما أظنها مستطيمة أن  
تخصب نفسا أو ترفع من قلب .

لم يكن حظي أن أقف من الصديق عبد السلام شحاته  
موقف الأستاذ بقاعة الدرس ولكنني وجدت في حديثه  
من المعاني النفسية ما حملني على الحرص على مودته وذلك  
لايمانني الخاص بأن في نفسه غني يحفز علي النفاذ إليها علنا  
مهديه إلى سبيل الاتفاح بما يملك بل واتقاء خطره .

واليوم يسرني أن أقدم إلي القراء باكورة ما يكتب  
هذا الشاب المتفتح النفس اليقظ الفؤاد وما أكتم أن  
في قصته ( المعابد المهجورة ) التي أكتب ما أكتب الآن

بعد الانتهاء من قراءتها دلائل حيرة نفسية أعرف من حياة  
الكاتب ومن دراسته للفلسفة بل ومن مزاجه ما يفسرها  
ولكني أرجو أن نكون إزاء مرحلة عابرة من مراحل  
الحياة كما آمل أن يجد الكاتب في مصادرة النفسية ما يهديه  
إلى ان الحياة لا تحتمل الشك ولا تنتظر اليقين وأنه  
ان لم يصل بعد في مجال العقل إلى إيمان يركن إليه فهو  
لا شك في سبيل الوصول وقدما قالوا ان الشك أول مراتب  
اليقين .

والقصة صورة نفسية ممحوة المعالم كالحالة التي أوجت  
بها وقد امتزجت بها خواطر متناثرة بعضها خيال محس  
وبعضها أفكار مجردة يمر بها الكاتب وكان قد ألهمته  
نزعات متضاربة لم تترك لنفسه قراراً إلا أن يبلغ الشوط  
مداه ومن ثم كثر التساؤل وحاد الجواب وفي هذا ما يغري  
بالمغى فيها .

ثم كم يثلج فؤادي أن أرى الكاتب يحاول استغلال  
ما يقرأ أو يسمع في تكييف أفكاره وما يفرغني في شيء  
أن يتبلبل منه الفكر فلا يؤمن بشيء من كل ذلك لعلمي

أنه ان صدق استعداده سينتهي إلى هضم معارفه وإنزال  
كل فكرة منها منزلة من سلم للقيم لا بد واضحة يوماً ما  
عند ما تلقي الحياة ضوءها على كل ما يعلم فتبصره بقيمته .  
ليس للقصة مكان ولا زمان ولا لأشخاصها حقيقة  
متميزة ولا لوحدتها في الوقائع وجود واضح وإنما فيها  
حالات نفسية متعاقبة متشابهة تنتظمها رغبة ملحة في معرفة  
ما هو الحق والله نسأل أن تستقر نفس الكاتب فتستقر  
قصصه المقبلة في الأرض أو في السماء ان أراد ولكنها  
تستقر على أي حال .

واني لعل ثقة من أن القاريء واجد فيما سيقراً من  
حرارة الكاتب وصدق نغماته ما يحبه فيما يقراً .

محمد محمود

مدرس بكلية الآداب

## صلاة عند مدخل المعبود

- أيها المعبود ، الصلاة لك في القلب ، وهنا المدخل .
- أيها المعبود ، أنت تعرفني فلن أصلي لك بصوت مسموع .

\* \* \*

يارفاقي التائبين تحت عاصفة الليل لأنكم حلستم  
بالاشراق لقد همتم في آفاق الظلام العاصف والكون  
المزلزل حتى إذا عدتم في الصباح كنتم بالشمس تؤمنون !  
يارفاقي السالكين

لقد تقابلنا في الطريق نجتمع من أزهار الليل باقات  
للمعبود ، فإذا لم أصل ادفنوني واحملوا باقتي المتواضعة عند  
أقدام المعبود .

أيها الرفاق العابدين

اكتفوا من ضياء المعبود بشعاع تكتحل به العين ،  
وجاهدوا في أمل وثقة من أجله لأن الرؤيا أما تحطم الأمل  
أو تعمي البصر .

بِسْمِ اللَّهِ الْقَوْنِي الْأَبَدِي الْأَزَلِي . . .

الهِ يَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .

هذه أنفاس فاعنت به روعي الحيري الظامثة المزممة  
التي دخلت معابد الحياة نفرجت وقد صرعت حكمتك كل  
الأرباب فبقيت أنت وحدك الرب الوحيد .

لقد عبدت مالا يجب أن يعبد . وبيننا أنا في تأملاتي  
طاردتني الكلاب البشرية وسرت نحو وادي الموت ، وعند  
القبور دفنت جسمي فأكلته الكلاب المطاردة ، وبقيت  
روحي في عبادتها . . تحظى بنور سرك الذي لا يفيض .

لقد تغير كل شيء ، ثار العقل على الحكمة ، تمرد القلب  
على الحب ، لقد تحطمت المثُل وتبدد الدخان ، وتحطم القلب  
لمرأي المثُل عارية ! ومن دموع الالهات الباكية في المعابد  
المهجورة كان مداد هذه الصحائف ، ومن أشلاء القلب  
كانت الصحائف نفسها ، وبقيت أنت يا الله الرب الوحيد  
وعاش القلب من جديد مؤملا بنور سرك الذي لا يفيض .

إليك أنت يا معبودي .

أنت يا من تعرفين من أنا ولكني لم أعرف من أنت .  
إليك أنت يا من نُحِثُ عنك منذ آلاف السنين  
بتصباح في ضوء النهار ومع ذلك لم يجذوك ، ونحن تقدمنا  
وسار بنا ركب الحضارة شوطا بعيدا ولكننا قد ازددنا  
بعدا عنك .

إليك أنت أيتها الحقيقة .

## اللوئس في الأبناء

اللوئس الذي ينبت على أعراف الماء والهواء...  
اللوئس الحائر الذي لا يدري مصيره.. هو الأرواح  
الهائمة على الأعراف.. هو الطيور الحائمة في غير هدي..  
اللوئس في الأبناء، بعد الحيرة في استقرار، لكنه  
استقرار تهدده سرعة الزوال فهل كان خير له أن يطول  
عمره حائراً أو يقصر عمره مطمئناً؟

## الجزء الأول

﴿ كيريز اشبا ﴾

في أساطير الفرس كيريز اشبا حائر على أعراف  
النعم والجحيم ، بين الحق والباطل .

بكي الامير الشاب فقد مات أبوه ، ومهما يكن رائعا  
ذلك الحجر الثمين الذي احتوي أكفانه الحريية فان ذلك  
لم يجد فتىلا ، لم يعد للميت ذلك الحول والسلطان ، وغريبا  
عن العرش قد دفن فلم يعد مرهوباً إلا تحت ظلام الموت  
الرهيب كأبي ميت ، ومن يدري فلعل اللصوص الآتية في  
طريق الزمان تتناول على مقبرة الملك الحكيم ، أو لعل  
ملكاً ما ولعاً بالصيد يعتدي على تلك النفائس ممايزين  
قصره أو قبره طبقاً للتقاليد والأديان التي تتمخص عنها طبائع  
الأجيال وشعور الخلف ، بل لعل ذلك الحاكم لا يتورع عن  
أخذ القلب الذهبي الذي وضع مكان القلب الحقيقي ليصنع  
منه حذاء يدوس به فوق ذرات التراب حيث اختلطت

جماجم الملوك بأحذية الشحاذين ، وستتغير لغة العصر من غير شك فلا يفتمه الباحثون معني الفقرة التي أمر الراحل العظيم أن تنقش على قلبه الذهب تبصيراً عما كان يكتبه دم الحياة في قلبه « الحكمة أسهل من أن يبحث عنها الانسان ، ومن مات باحناً عنها فلا أنه لم يعرف أنها أتته من أن يموت في سيدبا » ومن الحق أن يقال إن هذه جملة معقدة كل التعميد ، سهلة كل السهولة ، فربما كان الراحل ساخراً مما يبحث عنه الناس باسم الحق فلا حقيقة على الاطلاق ، ولكنها فقرة يسيرة الفهم عسيرة التأويل .

لكن ما الموت ؟ ما هذا التيه الذي تنحدر اليه البشرية منذ كانت .. بل تنحدر إليه الحياة منذ القبس الأول ؟ ما هو هذا البئر السحيق الذي يحوي الافواه المظلمة التي لا تشبع ؟ وكيف الرحيل من الربيع الناضر إلى صحراء ظلمة لا يرونها إلا الحرمان ؟ .

فليكن الموت أباً للظلام .. ليكن في الأرض المجهولة علمه فما سر الحياة وما حكمتها ؟ ما الحق والخير وما الزيف والضلال ؟ ما السعادة والجمال وما الشقاء والقبح ؟ ما غايتها ؟

وما مكانة الانسان فيها ؛ لأن كانت نوراً هي الحياة فما بال  
الظلام يصرع الدور في بعض الاحيان ؛  
بسكى الامير لا اختناء تجاريب والده الحكيم في دياجير  
القبر المجهول .. كيف تختفى كل تلك التجارب لذلك  
الفيلسوف الذي بهر العالم في هوة منحوتة هي قلب الصخر  
كيف يموت من كان لوجوده علة ومن كان للعرش حامياً  
ويترك نطفة من العلق لتحكم . فاذا كانت هذه شريعة الحياة  
أي أن تبني على الفرع بدل الاصل ليسير الفرع أصلاً فالي  
الاقول تسير الحياة وإلي فناء تنهي .

ولكن إذا كانت ادنيا قلباً كالبحر التائر فهل يمكن  
أن يكون لها قانون يثبت على الايام ؟ أهنأ حتى يمكن أن  
ينشده الانسان في الحياة ؟ حقيقة الحياة قصة للانسان فيها  
دور خطير ومن ينشد الحقيقة لا يكون متفرجا وممثلاً  
في نفس الآن . ولكن لم لا يحكم الممثل نفسه على القصة  
نفسها إن لم يستطع أن يحكم على مكاتته هو بالذات من  
التمثيلية جميعاً ؟

في كل يوم تشرق الشمس على ممالك الملوك

وأوطان الفلاسفة وفي كل يوم تغرب الشمس على قلوب  
كسيرة وبطون جائعة . يزهر النبات في الربيع ويزوي  
في الخريف ، تهطل الأمطار من ماقي السماء إثر اللوعة  
فتلقي الأرض الدموع بالبسات وتزهر الدنيا من دموع أمها ،  
يموت الآباء فتستحيل أجسادهم تراباً يطأه الأبناء بالأقدام ،  
يفذي التراب الزرع لياً كل الآدميون والحيوانات أجساد  
الآدميين الحيوانات ، الدنيا قلب فكيف تكون لها حقيقة ؟  
كل يوم حدث هذا ومع ذلك فمن أدرك أسرار الحياة حتى  
يدرك أسرار الموت ؟ بل لا بد أن يعرف الحياة جيداً ذلك  
الذي يريد أن يعرف أسرار ما بعد الحياة والعكس صحيح  
فمن المسير معرفة ما بعد الحياة دون معرفة الحياة . يا ابتاه .  
يا من حكمت الناس وجمعتهم تحت لواء حكمتك الباهرة أين  
عنى الليلة قد غابت حكمتك فتوضح لي هذه المعميات من  
أسرار الكون الذي تقول عنه حكمتك أنها أسهل من  
أن يبحث عنها الانسان ومن مات شهيداً لها فلا أنه لم يعرف  
أنها أسهل من أن يذهب ضحية لها . إذا كانت سهلة المنال  
يسيرة النوال فإلي قد عميت لأدري للحياة ظواهر ترجعها

إلي قانون واحد يطل نظامها ويفسر غامضها فيبين لي أين  
غبت وإلى أي واد قد رحلت روحك المنسية بالحكمة  
والجلال . عزيز عليّ أن تفرقنا هذه الأيام التي جمعتنا كما يجتمع  
النغم علي القيثارة ، لقد كنت أنت القيثارة وكنت أنا النغم  
فمن الذي أخرج النغم من القيثارة ؟ طلاس هي هذه الحياة  
فما أخرج منها بمعلوم موضوع حتى انتهى إلي سؤال  
لا أستطيع منه فكاً كما ولا له حلاً . ويحي كيف لي  
العيش أنا الفرع إذا كان الجذر قد اقتلعته الرياح العاتيات ؟  
ان المنطق أو بعضه يسلمني إلي هذا التساؤل وليس هو الملح  
من قلب يشكل أزاء المصائب . وإذا اعترض العقل أن هذه  
هي سنة الحياة لأجبهه وما نهاية هذه السنة وما غاية هذه  
الحياة ؟ .. لكنك يا أبتاه قد لقتني علوم اليونان وفلسفتهم  
وجعلتني أعتقد أن العقل البشري كفيّل بحل المشكلات  
جريء على الصعود إلي مرتبة الآلهة إذا هو أحسن التعقل  
والتفكير ، فيجب أن أحياناً بعدك يا أبتاه علي أصل  
إلي سر لهذا الوجود ..

هكذا فكر الملك الشاب ... بعد ان بكى فوجد

علة الاستغناء هي الخلود إلى الدرس والبحث والاغراق  
في التنقيب في باطن الأرض القديم وما عليها من جديد  
وما فوقها من سماء .

(٢)

ما الحق ؟ ما طريق السعادة أمام الانسان ؟  
أهو الحرمان والتعلق بالآمال وحسن الجزاء ؟  
أم هو الملاكية للمال والجمال والسلطان ؟  
ما الحق أهو العدم أو الوجود ؟ فما قيمته إن كان عدما ؟  
وهل وجوده حسي أم غير حسي ؟ وان كان الأخير  
فكيف يتفق الناس عليه والناس في التقدير غير الناس  
في التقرير ، فمنهم من رأى السعادة في جمع المال وإشباع  
الشهوات فحسبهم من الدنيا غانية طيبة أو ما ككرة ، وجعبة  
بالمال عامره تضمن لهم الطيبة أينما حلوا وحيثما ساروا ! حسبهم  
من الدنيا الليل يسدلون فيه الستار عن مضاجعهم المضمخة  
بالعطر الذي يتغير بين الحين والحين تبعاً لتغير الصديقات  
المزيزات المخلصات غاية الاخلاص ، وما النهار إلا لجمع المال  
فليس في ثوب النهار أمامهم غير لون الفضة وحسبهم من

جمال الشروق وجمال الغروب لون الذهب؟ وإذا دقت  
أجراس المعابد فهم لا يخضعون إلا للمرأة الحسنة يعبدونها  
فيتقدمون لها بالذهب ليستطيعوا الدخول إلي حيث المعبد  
المنشود، حياتهم مال وسعادتهم امرأه وكأس للنشوة والحلم  
بمثلهم الأعلى: الجسد!

ومن الناس من بنوا قصوراً من الأحلام واختلوا فيها  
فأتى الجسم ليعطن في جرأة أنه الحق، وهو لاء الشباب  
الشعراء واصحاب الفنون، ينظرون العالم من برجم العاجي  
المشرف على معابد الهند وجبالها الشاهقة، والذي يرتفع في  
غموض وظلمة وألم كما يسير السائح الافريقي في مجاهل الغاب  
وظلام الشجر إلى الحياة، والحياة بنت الجسد فتصطبم السفينة  
الحاملة بالشاطئ الصخري ويبدأ التشاؤم ويصبح العزاء  
والسلوان بقدره الحياة علي جذب الانسان إليها فيبدأ البحث  
عن الدنيا والمال والمرأة وفي زاوية منعزلة مظلمة تعيش أشباح  
الأحلام في كهف الزمن السحيق تنطلق في أوقات نادرة  
تعود الي كهفها الحزين.

ومن الناس من نشدوا العليم وحسبوا الدنيا رهينه

بكتاب أو كتب فنالوا العلم وقطعوا فيه مراحل وكلما  
خطوا رحلتهم في أوقات الفراغ أحسوا امرين غاية  
في التناقض . يشعرون أولاً أن ليس في مقدور الفرد مهما  
كان علمه أن يصل الى أسرار الوجود وحقيقة واضحة جلية  
فيشعرون بأن الأمل فيما كان يرجى من العلم أقل مما يوصل  
اليه العلم . والأمر الثاني أنهم قد اعتادوا ذلك البحث العلمي  
فيسيرون حسب العادة التي تسهل الصعب وتمهد السبيل  
ويستمررون في بحثهم .

فأين الحق ؟ .. وأين الطريق اليه ؟ .. أهو  
الغزو واخضاع الشعوب للملوك العظام فيحسون اذذاك  
بأنهم قد حققوا معنى الحكم والسلطان ..

لكن تجارب البشر ليست عبثاً وأفكار المفكرين  
ليست هراء ؟ وكل فكر يجب ان يرى مارأى غيره  
قبله ثم يخرج بما يريد من الآراء والأفعال ... لأشك  
أن الحقيقة في أحد هذه الأشياء بل هي في الجمع بينها  
جميعاً فيجب أن يأخذ الأمير الشاب بسهم في كل من  
هذه الميادين :

الدين ومعرفة الله لعل معرفة مصدر السعادة من ناحية الروح وعليه ان يغذى العقل بالعلم والشعور بالحب والجسد بالشهوات كما يغذى الايمان بفكرة عالية .  
في دراسة الأديان والفلسفات يمكن معرفة الله كما تصورته البشرية ، في الشعور الروحي الفعالي الذي يتصل بمسائل تخرج عن كل ما يمت إلى أحاسيس البشر ... الله ... الروح .. روح العالم .

في دراسة العلم وتغذية العقل بثمار أخصبها الأجيال التي صعدت إلى قمم الجبال وتطلعت إلى السماء والأرض وانتهت بما يفيد الأرض ويترك شئون السماء في تردد كالنجم الخائر ... في العلم يمكن تغذية العقل .. ولعله يربط بين شئون العلم التجريبي بشئون العلم اللدني ليكنه المقارنة والتحليل فيكون إلى معرفة الحقيقة أقرب .

أما النفس الشعورية التي موضعها الصمد كما زعم حكيم الاغريقي المشرف من رواق العقل اليوناني على أديان الشرق من مصر إلى إيران فيمكن تغذيتها بتكوين أسرة هنيئة ناعمة وبالفتح والغزو ليقدم البرهان أمام ضميره وأمام

شعبه على أنه على مجد بلاده لحريص ... وإيحاو أن ينفذي  
الجسد فيحس بالصحة لكن هل سمادة الجسم في الصحة  
والقوة أم في اللذة؟ إن في كليهما نفعا ولكنهما صندان  
المرأة ...

الحياة حركة والحركة في جسم فالجياة في جسم فأول  
ماتبدأ الحياة تبدأ مطالب الجسد، وهناك من يعيشون بلا  
عقل وبلا شعور ومع ذلك هم أحياء وهم لا يحسون في دقة  
ولارفة وإنما يعيشون كالحوان وحتى الحيوان له مطالب  
الطعام والجنس، ومطالب الطعام موفورة وثغرة البطن قد  
قتلت بما يجلب إلى الأمير من أقاصي الدنيا.. من مصر  
وحقولها الممتدة في أحضان النيل الآتي من أقاصي العالم،  
من سوريا وأرزها الممتد إلى السماء، وفاكيتها من الوادي  
الضييق كالسيف، من الهند... من الصين.. من كل هاتيك،  
الأمكنة يجلب طعام الملك الشاب فياله من طعام وياله من  
مائدة يتوق الشعب إلى بقايا بقاياها بعد أن يملأ الخدم  
البطون .  
المرأة ...

قد نما الجسد والشباب في برد القوة والجمال والحياة  
أمامه من زهرة كحدائق بابل الساحرة ، فكيف لا يطمح  
الأميرات يضم إلى صدره عروسا كما يحتضن أبو الهول  
حوريات النيل .. كيف لا يطمح الأمير ألا يشرك على  
عرشه عروسا كما يشرك البدر الشمس في بعث الضوء على  
دنيا الناس ... ان الفيرة لا يمكن أن تعتري قلب الشمس  
حين يمتلك القمر ناحية العرش .. ان الحياة تعاون وحب له  
وبه تحقق القلوب ..

ثار في الصدر شعور دافق واشتعل البطن نارا ذات  
لهب .

هناك وراء الأفق البعيد .. هناك وراء هذا الانحاء  
الكروي الذي يحيط بالدنيا توجده أميرة فاتنة أرسلت  
من عينيها نوراً بهر الشعراء فسبح خيالهم فيه وغردوا في  
أشعته وكانوا فراشا حائما حول مصباح الحقل لا يستطيع  
أن يفلت من الاحتراق في لهب المصباح .. وسمع الملوك  
والأمراء الأغاريد المحزنة والآهات التي تلتقي عند شبك  
الأميرة الذي تمنقه أشجار ثمانية .. فجروا إلى القصر

ليلقوا بأنفسهم عند اقدم النافذه والأميرة تفتح النافذه  
ولكنها تنظر العياض وتعانق أحلامها الغنقاء وكانت تحكم  
بلادها كما يحكم المعبود العابد . ولكن أحد الملوك قد  
اعتدى على مملكته فأعلنت عليه حربا وقاتل الشعب الحالم  
الملك الصارم وهي تبث الحمية فيه ولكن أنى للأحلام  
مهما كانت علو أبراجها أن تصد السيف الباتر الذي يقتل  
صاحب الحالم فينقله إلى واد حزين . . وقفت الأميرة في  
عليائها لترى من يعالوها ويحجب عنها أضواء المجد . رأى  
المعبود هيكله يتحطم أمام المغتصب فأرسل عليه أضواء  
جماله فأحب الرجل منها جمالا مستبد السحر وباتت له  
زوجة وأمة وصار لها عبدا . . والأيام دول كما يقول  
أصحاب القدر الشرقيين فرعان ما اعتدى جبار على الملك  
الذي لهاه خدر المرأة عن حمل الدرع والذي بات يريق  
الكأس بعد أن أراق الدم فقتله وأخذ المرأة وهي اليوم  
تعيش معه ناعمة البال وهكذا ما كاد ينتصر إلا ليكون  
عبدا للخدر وصورة على العرش .

وفكر الملك الشاب لماذا لا تكون هذه المرأة

أمة له فعمل فيها بعض الحق ولعل الحق زهر لا يثبت  
إلا في صدور المناقع ! من يدري سر الأشعة الخفية التي  
ترسلها عينها فتسحر شيطان الشعر ليوقد في قلوب  
الشعراء نارا ؟ من يدري سر هذه الملكة التي الهبا في قلوب  
الشعب جمالها وطغت على سيوف الملوك من عينيها السهام ؟  
من يدري سر هذه التي جمعت بين جمال الملائكة غدر  
الشياطين ؟ إنه لسر عجب وإن فضه لا عجاب

إلى القتال لأحراز المرأة والمجد وكلاهما إلى  
النفوس لسر حيب ، لعل الحق في المرأة أو لعله في  
الفتح والغزو ... ياما أشد ما يعانيه قلبه لمعرفة سر المرأة  
والمجد ، فكيف يكون سعيدا لو انتصر على جيش عدوه  
وكشف بذلك سر الجمال وسر المجد ... إنه تواق لكشف  
أسرار الوجود فلم لا يكون للوجود سره في الجمال والمجد  
وقد سبقه في هذين الميدانين أساطين التاريخ وابطال الزمان.  
وهتف الشعب :

الشمس والقمر يتغيران بين الليل والنهار والزرع  
يستحيل ويتغير حسب تقلب الفصول وحتى الصحراء تتغير

فالصيف يصلها من نار الجحيم والشتاء يملأها برودة قلبية  
تعمم قهم الجبال بالثلوج .

لكل وقت يزهر فيه واليوم ربيع الوطن في ظل  
شباب الملك فأشرق يا شمس على ماضينا المجيد لتعيدى إليه  
الاضواء وأنت يا نجوم كوني شموعا في معبد بلادنا المحبوبة .  
لنذهب إلى الصحراء فنظفها لهب جحيمها ونشمل  
برودتها فإذا مادبت فيها الحياة وأقننا المدن الوهاجه السراج  
على قهم الجبال أخذنا نفتح بطن الأرض ذات الأسرار حيث  
نجد الحجر فنحظى بالماس البراق وتتوج به الملك ونعبد  
مجد الوطن المنبث من رأس العاهل الفتى ، نحن نعبد  
المجد فأشرق يا شمس من جديد وأضيئي يا نجوم وانم  
يا زروع ، . كل شىء في ازدهار ...

وفكر الملك : منذ الأزل شهدت يا شمس قتال البشر  
واشرقت فوق المجد وغربت فوق الأنقاض فما سر القتال وما  
حقيقته ؟ انك لا تبيين وأفعالك مناقضة . فلا نظام فيها  
لا سياتى ناحية الآراء والمذاهب التى لكل منها حجة  
يقدمها للعقل دليلا على صحته فان كان هناك النظام فى

الحياة الحيوانية والنباتية من نمو وفناء وغيرها فلا يوجد هذا النظام في الحياة الفلاسفية المتعارضة المذاهب التي يدعى كل منها أنه مصيب كبد الحقيقة ... الا ما أشقى الفكر الشك الذي يشك في السعادة والشقاء في الحق والباطل بل الذي يذهب أبعد مدى من ذلك فلا يعرف ولا يميز بين السعادة والشقاء ولا بين الحق والباطل . فأين هي شمس الفكر يا شمس الحياة ؟ إن دراستي لتتاج العقل اليوناني جعلتني جريئاً أتخطى كل تقاليد دينية قائمة بعجز البشر عن ادراك سر الوجود ولكني لم أعد أعرف ما الحق فكيف لي أن أحكمم بالحق ؟ .

سارت الجحافل لتشهد الشمس معركة البشر في احدي حقب الزمن وقد برر كل من الفريقين المتحارين رأيه بالحجج فلم تعد تعرف الشمس من المخطيء ومن المصيب .

مالت الشمس للمغيب فتخضبت جبين الافق الغربي بالذهب والاسدم والتف العالم الغربي بوشاح بنفسجي مطرز بالياقوت ففكر الملك فيما كان لشروق الشمس وغروبها من أثر في حياة المصريين القدماء فجمالوا العالم الآخر

مصوراً أو مرتبطاً بغروب الشمس وهنا تسأل الملك ما حقيقة  
هذا العالم الآخر؟

وفي المساء سارت النسائم هامة بأحلام عالم غامض  
مبهم وكان الظلام جميلاً فتصور المليك العالم إذ ذاك وهو  
يشرف من خيامه على الصحراء النائمة في أحضان الظلمات  
حاملة بمقلة مقفلة الجفون .

اليأس يدفع إلي الرجاء أو إلي الحلم بالرجاء قد دفع  
الظلام المليك إلي التفكير في النور وتسلت إلي رأسه  
فكرة الفرس عن الظلام والنور ولكنه لم يستطع ان يجزم  
أي الرأيين قالو : بالوحدة أم بالتثنية .

ذهبت به الأفكار في تيه الشك مذاهب شتى وفكر  
في أسرار العالم فهل امتزج بالروح الكليه وبالنيرفانا ، كما  
زعم حكماء الهند؟ وما لبث الملك ان استلقي على فراشه  
الوثير مؤملاً أن يجد في أحلامه مكان الحق وماهيته .

( ٣ )

... وخضبت (أورورا) الفجر بالبنفسج وبدأت عجلة  
(ابولو) الذهبيه تبهز الدنيا بسناها العجيب وفي نشوة ملاً

الماهل التي صدره هواء فتجدد إشتعال فؤاده هوي ، وفي  
لون الذهب أخذ يصطبغ الأفق البعيد كآماله الكبيرة  
في حياة الذهب والحب ، ونسي أحاديث الفلاسفة ولبي نداء  
البوق . . . بوق المجد القديم يتجدد في ذلك الصباح المشرق  
والشمس وضاحة الجبين .. وسار الجيش يحتاج بطون الأودية  
فيبقرها وقم الجبال الثلجية فيجلبها إلى هوى يحترق ، سار  
الجيش وقد امتزجت الدماء بكؤوس النصر ..

سار الجيش وقد اشتعل فاحترق ما حوله ولم يحترق منه  
إلا قليل : سار الجيش وعند حد سيفه عقد الأمل وعند حد  
سيفه سالت الدماء ، سار الجيش وتحت أقدام الخيل أشلاء  
وفوقها أهازيج نصر باهر . سار الجيش في الأجاديب القاحلة  
فغرس فيها بذور الدماء فكانت أول نبتة فيها شجرة  
الإنسانية المظلومه غرستها يد الإنسانية المظلمة .. نبتت  
شجرة عجيبة ظلت تصيح في الفيافي وتملاً بطون الوديان  
وقم الجبال ، شجرة عجيبة لها فروع تنتهي برءوس ألف  
إنسان مولولين ( ليت الحق كان في قتلنا ... ها ... ها . )  
وترن هذه السخرية الشيطانية في الآذان فتدخل إلى النفوس

عوامل التهديم والقنوط واليأس ، سار الجيش ليصير قاتلا  
ومقتولا فيصبح القتال فرحا ويئن المقتول ويحشرج بهد  
أن تطفر من عينيه الدموع كأنه عرف شيئا جديدا خفي  
عنه قبل الموت ، سار الجيش وقد غير كل شئ فامتزج  
الياقوت بالدم وامتزج الذهب بالشمس وقد جمع الأعاجيب  
فامتزج الدم باللبن ليكون للجيش شرابا ، وامتزج العسل  
بالتراب ليكون طعاما . ، سار الجيش بفرسانه المساعير ..  
وفي قلوبهم حيث نبتت شجرة الأمل والحياة والحب يسقيها  
دم عزيز استحالت بعض هذه الأشجار ياسا وموتا وبغضا  
يسقيها تراب جاف

وفي الدجنه الطاخيه رأى العاهل الفتى شبعا يقوم ويقعد  
بين نيران المواقد والمصابيح الخافقه بينما الجيش قد غفا في  
سنة من الكرى والحراس عليه قائمون فارتاع ودق الطبل  
الذي بجواره فأتاه بعض العميد وسجدوا أمامه ولكنه  
أنبأهم بما رأى وسرعان ما أتاه الخبر أنها ( اوشاس ) .

اوشاس يا حلم الملوك الذين بحثوا عن بريق عينيك في كرائم  
الأحجار في ما بطن الجبل وقلب البحر ، لقد افزعتهم عين

الهرة ذات البريق الشيطاني وردهم عن عيون المهاجسم غليظ  
، كأنما أذيب البريق بالخور بالسحر .. بالقلب وبالجسد ...  
بالدنيا وبأشعة من السماء فكان منها جميعا تلك النافذة  
السماوية التي تسمى عينيك .

أوشاس يامن بحث الشعراء عن لون شعرك في امواج  
البحيرة المقدسة تحت ضوء الشمس فنحابت أمانهم .  
اوشاس يا حلم الشاعر ومخدع الأمير ، اوشاس يا ابنة  
الآلهة التي عشقت بشريا في حديقة الشيطان فكان منك  
الهة وانسانة وشيطانة !

اوشاس يامن سميت باسم آلهة الهوي والفجر في بلاد  
الهند العجيبه . آلهة الفجر الوردى الندى لهة الأعراف بين  
النور والظلام ولقد عشق تلك الالهة ابوها (براجاتي)  
فأبدي الرغبة فتمنت وولت الأدبار وتعقبها وكأما  
تشكلت بانثى كائن تشكل بصورة ذكر هذا الكائن  
حتى نال بغيته وضاجع ربه الفجر والهوي في ساعة غطت  
السماء وجربها بنقاب وردي باهت وغطت الأرض وجربها  
بقطرات باردة وسرت اصابع النسائم بين الورد الباهت

وقطرات الدموع ! ،  
أوشاس ألا في سبيك ما يقاتل الملوك تحت ستار  
الفتح والغزو ومات الناس وتلاشت أرواحهم كأنفاس  
لاهثة وما غرست شجرة الانسانية المظلومة في الصحراء الا  
بيد الانسانية الظالمة العاشقة التي تيمها العشق وفتتها جمال  
الألوهية والشيطان .. ما قامت الدنيا وما قعدت وما فتح  
الملوك وغزا الغزاة الا ليفتحوا صندوق جمالك الالهى  
ويغزوا قلبك العجيب ،

فما سرّك ؟ هل انت الحق ؟ ان قلب العاهل ليخفق  
فهو لا يدري شيئاً عن هذا السؤال أو عن غير هذا السؤال .  
اقتربت يديك كاللهم في ثوب ملاك ، خفاقة كقلب  
يشري فتانة كشيطان فلم يجرؤ الأمير ان يرفع البصر اليها  
واما اصطنع الهدوء والرزانة والحزم .. ونظر الأرض تارة  
والسما تارة

— من انت ولماذا جئت ؟

— انى ادعى اوشاس ياسيدي جئت انبك ان من تحاربه

قد قضي .. جئت وحيدة أعلن التسليم ...

جاءت له وحدها تملن التسليم . ولكن كيف هذا  
التسليم اليسير ، حقا انها لغاية تلك التي جاءت في طريق  
ارضه دماء وسحابه آهات وساؤه لمنات كل ذلك لتعلن هي  
التسليم ، ألا ما اتفه هذا الجمال المؤله وما ابسط الجمال وما  
أبسط تلك الحقيقة التي يكشفها الجمال ..

ولم يفكر في الحقيقة بل كان عليه ان ينعم بالفنم  
فأعلن النصر وارتطمت الكؤوس كموجات بحر من المرح  
والضحيج ...

هكذا انتصر ... وسارت مع الجيش إلى القصور الملكية  
وفي الشرفة الكبيرة القائمة أمام القصر على قوائم أسد من  
حجر أسود عجيب التي تحية للجنود وهنأهم على بسالتهم  
ووعد باستلام الكنوز والآثار وبسط سلطانه على البلاد حتي  
يستقر الأمن فيمهد بذلك السبيل للمجد الحقيقي الذي عزم  
عليه منذ ولي العرش ...

ودخل الجناح الذي اعد له واستدعى (أوشاس)  
وجاءت أوشاس في غلالة من شفوف الهند كالنسيم  
وجئت أمام سيدها الجديد فأذن لها بمكان على

مقدمه .. وأضطرب ا كانت هي المرة الأولى .. كانت هي  
إلهاء المقدس الذي كان من الواجب أن يشربه وهذه  
هي الكأس الأولى

وكانت تفهم نقوس الرجال لا سيما ذلك الذي لم  
تفتريه كنف التجارب فقامت الى المائدة وصبت كأساً  
من النبيذ على شكل برعم زهرة اللوتس وقدمته  
لمولاها وقذفته من العين بسهم فجرح فؤاده وامتزج دم  
الكأس بدم القلب في ذلك الاناء الداخلى الالهى ، في القلب  
سرت النشوة وثار الصبا ..

وأطلا من شرفة على البحر .. ذلك الكائن العجيب  
الذى عبده البشر .. ولمعت النجوم فوق طيات الموج الهدار  
.. وراع المنظر خيال الأمير وأنعش صدره نسيم البحر  
الناعم البارد وأحس فيه روحاً تحمل صوراً من الماضى ..  
ولاح وراء أعراف الأمواه ما يشبه المستقبل المجهول ..  
وبدأت الذكريات تتسابق إلى خياله وكأنما هبت أشباح  
إلى نفسه من تلك النجوم التي زعم المصريون انها تمثل  
أرواح الموتى السعداء ..

بدا أمامه البحر الوضاء تحت أشعة (الأرواح السعيدة)  
ذكريات واضحة ... أما البحر المجهول البعيد الذي لا يبدو  
إلا كحلم غامض .. فهو المستقبل ..

وإذا بدت عين « هوروس » الليلية « القمر » بعثت  
إليه بشعاع وسمان .. كأن هذا الشعاع هو الأمل . وأثارت  
فكرة فناء الانسان أن يجعل الفتي في بقاء ذكراه ..  
وكانت أوشاس إلى جواره كحمامة هادئة تمثل  
الأني فكانت القبلة الأولى تحت أشعة الأرواح السعيدة  
متساقطة من عل اما من أسفل فقد سمع تكسر الأمواج  
أو تكسر أحلام خفق بها قلب البحر عند اقدام الصخور  
الحبيبة إلى قلب البحر افيالها من حياة ويالها من قبلة  
كانت الأولى ...

وإذ ذاك ارتفع صوت المغنية الهندية في موسيقى  
حالمه كأنها أحلام آلهة الهند أوشاس أو على الأصح  
أحلام كاهن كرس حياته في معبدها فوق قمم الجبال  
الثلجية ... حيث تتجمد الأهواء وتبدأ العبادة قريبا  
من السماء .....

« لقد قدس المصريين الثعابين وهى سم قتال

فياله من تقديس غريب ..

ولكن حينما امتد ذراعاك في أشعة القمر والليل يحلم

أيقنت بحكمة المصريين وشعرت بأني كنت مريضا

نعم لقد كنت مريضا لكن لما ارتوت نفسى بالسم

المزوج بالزبد ... شفيت وأحييت شعب فرعون

الذى عرف من قبلى نشرة السم البهيج .. وهو الحب الذى

كان بين ذراعيك . لقد غضبت عني الآلهة فحلت روحى بعد

موتي بجسم طائر غريب

وبينما كنت أحلق طائرا فوق قن الهند الشاخنة رأيت

حفرة فيها دماء ودموع

فأما سألت لمن هذه ؟

قالوا هى دماؤك ودموعك أيها المحب الشقى

يا حسرتا على ! .. ولكنى حينما طرت ورأيت ذراعيك

ممتدين كالخيتين كسينا بالزبد وددت أن أحلق فوقها فطردت

يا الهى ! ان أردت عدلا فاخلقني ثعبانا كي أفهم سرهما

أو اخلقني حجرا اصم لا يحس - بحر الثعابين - .

وهبطت الموسيقى رويداً رويداً وكانت الضمة الأولى  
وامتدت الحيطان اللتان كسيتا بالزبد حول صدر الأمير  
الشاب ولدغته فتسمم جسده ...

كان أمام المخدع نضد ذو طابقيين وضع علي الأعلى  
تمثال « أيقور » وفي الأسفل كان تمثال آخر لزينون ...  
تركته مشتعلاً وقامت لتضع صاحب الرواق « زينون » في  
القمة وأزلت « أيقور » ولكنه ثار وأمر أن يبقى  
( أيقور ) في قنته يشرف على الفراش الملتهب على أنه أطل  
في ركن آخر فرأي تمثالا لأرسطو وآخر لسقراط ..  
ووقف تمثال كامل من الرخام ( لاوشاوس ) في ركن العرفه  
وقد بدت مفاتيها تحت غلالة رقيقة من الرخام . وثار من  
جديد حين فكر أنها وقفت شبه عاربه أمام المثل .. ووجد  
أمامها وتدرع بحديد العزم .. لكن الحيتين امتدتا إلي  
داخل الدرع فثار من جديد .. وناما في أحلام جميله ..  
والنشوة النشوة بالنشوة بين أحضانها .. يا للمرأة ؟  
وفي المزيع الأخير من الليل قام بعد ان سمع عاصفه  
في السماء مضطربا ولما اطمأن ورجع تعثر بتمثال « أرسطو »

فاعتاظ وفتح الباب المطل على الشرفة وقذفه إلى أعلى قائلاً  
أذهب أيها الجنون إلى النجوم لعالمك تجد هناك بين  
الأفلاك « المحرك الأول » وكأنما أطل سقراط قائلاً في  
شكله الزري القبيح « اعرف نفسك بنفسك » فضحك  
وقال لقد عرفت نفسي اليوم فقط... عرفت السعادة  
عرفت الحقيقة! ...

هذا هو التفسير الصحيح لكلامك يا حكيم الزمان! .  
ومر معلم في القصر تحت الشرفة فوجد تمثال أرسطو  
مهما لكن رأسه مازال يحمل معالم الوجه وعلى جبينه  
أنحدرت قطرات من الندى تشبه الدموع! ..  
وشهدت عين « هوروس » النهارية تمثال « اوشاس »  
يسود تماثيل الفلاسفة ويعالوها جميعاً وإلى جوارها  
تمثال « ابيقور »

وكان أول عمل في الصباح هو الاستحمام وضمخ  
الحمام بطيب وعبور عجيبة وزين بأزاهير فتانة باسمه .  
وكان حوضاً عجيباً .. رسم عليه ( ايروس وفينوس ) في ناحية  
الغرب أما جهة الشرق فقد وجد ( اشتاروتاموز )

وكان مياه استحمامها كانت دماء تغذى قلوب آلهمة  
الحب والجمال... واخترقت عين (اوروس) الالواح  
الشفافة من الحائط فرأت ما يسمى نشوة الجسم ولم تدر  
العين ان كان ذلك فضيحة أم رذيلة لأنها ترى ولا تحكم!

وصرت عجلة أبولو على العالم مررات ومررات وفي كل  
مرة تحمل الحرارة إلي الأجساد الباردة إن الليالي الحمراء.  
وذهب الأمير ذات مرة إلي المكتبة العامة بآيات  
العلوم والفلسفات والأديان وسأل نفسه هل هو خطي  
بالحقيقة؟ ان الليالي ما انصرفت إلا في أحضان المرأة  
فهل رأي الحق في المرأة؟ لو ان الحق فيها لكان كل من  
يملك امرأة ما لكاللحق؟ اذاً فالحق ليس في المرأة،  
فليقاطع المرأة وليبتعد!

هل الحق في الغزو واتساع الملك؟  
ان الذي يملك يتسائم يملك يتتسع متاعبه كما  
تتسع نعمته فالنسبة محفوظة ومالك البلد كمالك البلدين ولو



— وما هي الفلسفة التي تحبها أنت ؟

— انى أجل العقل اليونانى ولكنى لا أعتقد فى المنطق  
البشري كعلم موصل إلى الحق الأعظم .. أنى أجل  
أرسطو وأومن بالشرق المؤمن القوى الايمان لا بتلك  
الروح المتمردة التي تظهر فى كتاب « محاورة بين الجسم  
والروح » عند المصريين ولا أسطورة « جيلجاميش » ،  
الكلدانية التي تنتهي بالقول بأن الحياة هي كل شيء وأن  
الآخرة هي الضلال المين . عماء أو فناء . . . . . انى أعجب  
بيوذا حين سئل عن أبدية العالم فقال أنه لا يمينه شيء  
من هذا القبيل وانما مهمته تعريف وسائل الخلاص . . .

— حسنا . . . ولكن ما فكرتك أنت عن العالم فى

اجماله وأين الحق وأين الضلال ؟

— تلك آراء متباينة تختلف باختلاف الشعوب

والشخص فالشخص يشرف على العالم من شرفته المحدوده

بمنظاره الخاص فالحق نسبي فالخير عند البعض شر عند البعض

الآخر . . .

— لكن فيم تعتقد أنت ؟

— إن اعتقادي لغريب فمذ القدم وأهلى خدام للعلم  
والدين وكانت أعواد شبابهم تذوي في أتون الرغبة في العلم  
والبحث وقد جربوا كل شيء واستوعبوا كل فكرة فلم  
ينتهوا إلى رأي واضح عن الحقيقة فما الفلسفة إلا آراء  
الناس تختلف حسب مشاربهم ومهما كان فيهم ذلك العنصر  
الالهى فانه ينقصهم مسالك كثيرة ليكنوا من الواصلين  
فهذه أمة الفرس ترى منها (مانى) يعلن أن التخلص من  
الشر أمر مستحيل وأنه متشائم يأس في حين ان  
(زرادشت) يرى ان التخلص من الشر ممكن وان  
الحياة السعيدة سهلة النوال ولكن (مزدك) يرى رأيا ثالثا  
فَعنده أن الأموال والنساء أصل الشرور... وهذه  
أمة الصين منقسمة الرأي أزاء مسائل الكون وجودية  
كانت أم اخلاقية وإنى لأذكر على سبيل المثال أن  
(لاهوتسيه) رأى ان حب الأعداء واجب كحب  
الأصدقاء في حين يرى (كونفشيوس) ان نعامل الأعداء  
بالمعدل وان نبادل الأجراء جبا بجب وهذه أمة اليونان  
لا نستطيع ان نقول أن لها كلمة واحدة ترشدنا إلى حقيقة

واحدة بل لعل هذه الأمة أكثر الأمم تشعباً في المذاهب  
واختلافاً في الآراء.

وقد يكرر بعض الحكماء أفكار غيرهم دون قصد  
ولا علم فمثلاً لما قال «سقراط» بأنه يعرف شيئاً واحداً  
وهو أنه لا يعرف شيئاً كان ذلك تجديداً لفلسفة عصره  
ومثلاً في التواضع لم يسبق له مثيل ولكن كتاب الحكمة  
الكلدانية يذكر أن الرجل الحكيم يتظاهر بأنه يعرف  
أقل مما يعرفه في الحقيقة ...

ان من يصيبون الحكمة والمجد ليسوا هم أكثر  
الناس حكمة واحرامهم بالمجد فهم قد استطاعوا ان يوفقوا بين  
افكارهم وعقول الناس وبقدر ملائمة هذه الأفكار لتلك  
العقول يكون المجد وكذلك يمكن ان يقال على كل  
من نجح في ناحية من نواحي الحياة فانه لم يحرز هذا النجاح  
لأنه اجدر الناس به وانما لأنه استطاع فقط ان يوفق بين  
تصرفاته وطبيعة الحياة فالذي ينجح في الحياة يمولاي ليس  
هو ابن الخلود وانما هو الحياة وابن الخلود منزو في ناحية  
عليه كل غبار الحياة بينما ابن الحياة لا شيء عليه من غبارها

وانما كسبه سندسا وحريرا كما تفعل أم غنية معطاء .

— إذا فالجائع والأبلة وكل محروم يمد ابنا للخلود

الذي عنه تتحدث ؟

— معذرة يامولاي ان الوضع الصحيح لسؤالك هو

هل كل مالم يكن ابنا للحياة يمد ابنا للخلود ؟ . . والجواب

على ذلك بالنفي لأن هناك من لا يستأهل أن يكون

ابنا للحياة . . وهناك أدنياء أخساء همهم في بطونهم ، شرهون

في ملئها ولو كان ذلك من دماء الغير ، شرهون في تفرينها

ولو كان ذلك على حساب الغير ، والذي لا ينسجم مع

الحياة فلا تمده ابنا لها اما ان يكون دون مستوى

ابن الحياة أو أرفع منه فهل الجائع والأبلة

وكل محروم من الذين ارتفعت أو من الذين انخفضت

درجاتهم ؟ والجواب على السؤال يدعونا يامولاي إلى أن

تعرف ابن الخلود . . وهو الذي يعرف الحكمة التي ليست

هي حداً وسطاً بل أن فكرة الحد الوسط فكرة يونانية ،

فكرة لأنبياء الحياة الذين تصوروا الألهة بشرا وكثيرا ما

صوروا آلهات عشقن رجالا وانما الحكمة التي أعنيها يامولاي هي

فكرة متطرفة البعد عن شئون الحياة .. قريبة من معرفة الحقيقة الكبرى التي تلتهم بسناها النجوم المعبودة فاذا كان المحروم لم يفكر في ذلك وبل يفكر في الحرمان والثوره فليس هو أدناً من أن يكون ابناً للخلود فحسب بل أدناً من أن يكون ابناً للحياة نفسها... وكذلك الجائع إذا ارتفع إلى النجم الماع فكره فهو رجل خلود وإلا فهو أدناً من أن ابناً للدينا نفسها، أما الأبله فهو أقرب من أن يكون ابناً للخلود دون غيره لأنه لا يفكر في شر ولا يفكر في خير

— إن العقل اليوناني يحكم عليه بأستاذ بأنه شخص معدوم لأن العقل هو الموجود ...

— يامولاى إن احترامى للعقل اليونانى لا يحملنى على الاعتقاد بمنطقه ولا بتأليه للعقل البشرى

— فأين الحق اذن ومع من ؟

— الحق، كلمة اتفق في نطقها الجميع واختلفوا في تصويرها

— أتري إذن أنه من العبث البحث عن (الحق) ؟

أتدعو إلى الخمود والجمود ؟

— إنى أرى فى العقل البشرى عبقرية الحياة لا  
عبقرية أهل الحق الخالد فالحق الخالد لا يأتى بالعقل .

— أهو فى الحب والعاطفة ؟ أهو فى الشهوة ؟

— إنه الحب ... إنه القبس الالهى ... ان الحق

الأعظم هو الحب

— ان الحق كلمة لا تحمل الحب ... ان الحق هو

العدل .. الميزان .. العقل ... جوهر الأشياء

— ألم أقل يامولاى ان الحق كلمة اتفق الناس فى

نطقها ليسلوكوا فى فهمها مسالك شتى ، عندى أن الله

هو الحق

— وما هو الله عندك أهو الحب ؟

— هو الحب .. هو الحق .. هو الخير .. مزيج من

هذه جميعا هو كل منها وهو جميعها

— وأين تجده ؟ انى لا أجد فى كلامك الاتعيرات

أهل الأيمان الذين يوفقون بين اساطير الدين وفصاحة أهل

اللسان ...

— مولاى .. ان الله فكرة الأفكار .. فأين تجده ؟

انه في كل نفس .. اخل الى نفسك تجده بالتأمل ...

— سنرجع احد مذاهب الهندوس ...

واغتماظ الأستاذ غيظا شديدا لأنه اندحر في نقاشه

ولكنه تكلم في عصبية غفرها له المليك الباحث عن الحكمة

— مولاي ان المصريين قد فطنوا الى ذلك او الى

بعضه فادعوا ان « مآت » هي روح التسوع الآلهى وهى

تمثل العدل والحقيقة والعقل يحبها فرعون وتخدمها مدي

الحياة اى انه يرى الله في العدل والحقيقة والعقل مدي

الحياة ، ويظل يحرسها حتى يصعدا الى امون فى عليين ،

يامولاي ان ( مآت ) يحرسها الملك اثناء حياته فهو قد امكنه

ان يوجد ما يمثل الالهيه اذا هو احسن الحكم فلا تبحث

عن الله الا في نفسك وكذلك فليفعل كل انسان ...

قاله موجود دائما .

— قاله موجود دائما ما وجد الانسان .. والله ففكرة

تتوقف على العقل الذى هو للانسان ! ما فكرتك عن الله الا

فكرة يونانية وهى ان الحق موجود بذاته وان من يعرف

نفسه فقد عرف اشياء كثيرة ، فاذا كان الانسان قادرا

على ان يجعل في العالم قوة تمثل الألوهية فالانسان خطير  
الشان وهذه فكرة يونانية ان رجال الدين دائماً  
حاولو أن يدافسوا عن عقائدهم بأى ثمن .. أتدافع  
عن الباطل بالحق أو عن الحق بالباطل؟ .

— بل أدافع عن الحق بالحق .

— وهل عقلك وحده هو الذى حظى دون عقول

البشر بالحق؟ إنه حق مخصوص

— انى لا أفرض رأى وانما أبديه : فهو حق عام

لرأى خاص

— أنتم يا فيران المكاتب .. يامن ضحككم على الناس بتلك

الألفاظ الجوفاء ...

وسر الملك بالجدل وسر بصاحبه وإن كان قد خالفه في الرأى

ولكنه تعلم علم اليونان الذين ذكروا أن العقل البشري

جدير بالصعود إلى مرتبة الألوهية إن هو أحسن

القيادة فكل حرفياً يفعل .. فلما واته هذه الفكرة قال

للمعلم بم تتكلم؟ .

— بلسانى

— عما يعبر لسانك؟ — عن رأيي .

وفي أي وعاء تكون هذا الرأي؟

— في النفس — وبم تستطيع أن ترد علي؟ .

— بالعقل

وسخر الملك قائلاً — إن العقل باطل عندك فكيف

تدافع عن الحق بالباطل؟

— مولاي إن العقل هو النفس وهو لسان الله يتكلم

في قلب الأنسان

— هذه ملخص فكرة يونانية سبق شرحها وهي أن

الله في الانسان وأن الألوهية ليست بعيدة عن الانسان ،

هذه الفكرة موضوعة في قالب ديني صوفي لا أكثر .

— مولاي ألم أقل لك إن الحق كلمة اتفقنا في نطقها

واختلفنا في معناها؟ بلى وحق مولاي ولكن هأنحن نتحد

في الأفكار ونختلف في التعبير حسب مشارب الثقافات وعلى

كل فاني أومن بقوى خفية وما ذكرت ما قلته الآن إلا

لاستطلاع رأي مولاي .

فلمعت عينا المليك وضحك في غموض ورجع إلى

حجرتة الخاصة ونظر السماء فتذكر أن المصريين رأوا  
السماء على شكل امرأة منحنية على الأرض يرفها « شو »  
إله الهواء على يديه فيد على ثدى السماء ويد على نخذها  
لعسل المرأة قداسة وذهب ليقضى ليلته بين أحضان  
(أوشاس). لعلها توحى إليه أين الحقيقة بعد أن اجزم  
انه ليس هناك حقيقة .

دخل المخدع ورأى (أوشاس) جالسة في كرسي  
قدماه على هيئة أقدام الثور ولما اقترب من عينيها الساجرتين  
رأى دمتين وسألها ما الأمر ، أجابت أنها عثرت في  
مخطوطات قديمة علي قطعة شعرية حزينة ، لعلها مصرية ،  
واكن العجيب أنها لم تتحدث باسم الأماكن والآلهة  
المحلية وانما تتحدث عن كل مكان وزمان ، كانت على ورق  
البردى . وترجمت للملك ... (وردة على قبر ..)

عندما نشر شيطان المرأة التي كان يحبها رايته السوداء  
على جيباته فأحاطها ليلاً بهيماً استل منجله الطويل

وانحدر من تيه الشكوك إلى صحراء الحب وهناك في مقبرة  
عتيقة بالية حيث ينبت الحسك والحنظل وتحت نخلة هسومة  
مضمحلة تملوها أعشاس اليوم . هناك كتب بالدماء  
والجحيم (القلوب المنتحرة) اختط بمنجله الأرض وعطر  
لقلبه قبرا .

وظل هناك تهب عليه أعاصير الشكوك فتتسلل تيارات  
هوائها إلى داخل المقبر تفتت ذراته وتتحقق عنه بهذا الافناء  
عذاب الجحيم . . . لكن جذور الحسك والحنظل امتدت  
في الأرض وامسكت الميت عن الفناء التام وبقي يقاسى  
عذاب السعير . .

وفي فجر ندى جميل مرت ساحرة رأته أن تبعث  
فيه الحياة من جديد . .

انفرج عنها الضباب فأقبلت مع الشمس في الشروق  
لتلقي على قبره وردة قرأت عليها التعاويذ . . . وكأما انسابت  
دماء جديدة من حمرة النور تبعث الروح في الهيكل  
المحطم وبعثت ابنة الشمس إلى حياته الحرارة . . .  
وانقلبت المقبرة مدينة أحلام والحسك والأشواك

انقلبت أزاهير يصنعان منها التيجان وأصبحا أميرين  
لمدينة الأحلام .. لقد ضحكت الدنيا : انقلب اليوم بلا بل  
ومر النخلة المضمحلة انقلب خمرا معتقا . وحان الغروب  
وحان لابنة الشمس أن تصعد مع الشمس وسوف يعود  
إلى قبره . ليته لم ير النور حتي لا يشقي من بعده بظلام  
أو ليت أحلامه طالت ولكن هكذا حياة الشعراء  
وعمر الربيع قصير .....

سيعود بأماله إلى مقبرة القلوب المنتحرة حيث الحسك  
والحنظل والنخلة العتيقة بجوار منقع الماء الآسن يملوها  
اليوم مررداً أغاني القبور ..

لا وردة إلا مع الحالم ليرحمه الله . لقد كان قلبا  
جديرا بالحياة ولكن هل تحتفظ الحياة بما هو جدير بها ؟  
يرحمه الله

(أوشاس) أيتها الروح الشاعرة . إن المليك لمخطيء  
اذ لم يريك غير اثني فيالك من مظلومة . ألسنت روحاً  
هائمة حول قلبه ؟ السنت جديرة بالحب النقي السامي ؟  
الست مثالا للروح الجميلة الشاعرة ؟

فليكن يونانيا ولكن ليكن أفلاطونيا .  
الحب النقي شيء جديد ملتهب لعله الحق  
وأحس بعاطفة جديدة نحو (أوشاس) وخرجا إلى  
الشرفة فسمعا المغنية الهندية ...

( لقد كنت أعرف أن التراب هو ذرات آبائي  
وأجدادى .. لذلك رأيت في الأرض أعز ما يملك ...  
ولكن حينما أحبتك .. حلت بي روح جديدة .  
فقالوا خذي أسلاك قيثارتك من الفضة فرأيت  
حبي أشد لمعانا من الفضة ولما قالوا خذي الأسلاك من  
الذهب أبيت لأن الذهب ابن الأرض الحبيبة القديمة  
وحبك قد خلقتي من جديد ... حبك لى شيء جديد لم  
يعرفه من أصبحوا آبا إلي جوار الذهب .

أريد أن أغنى لك في المساء فم اتخذ اسلاك القيثارة ؟  
أأخذها من شعرك وهو آمن حرير عندي ؟ . ولكن أخشى  
أن يتقطع شعرك أمام حبي الخالد .

أريد أن أغنى لك في المساء فم اتخذ اسلاك القيثارة ؟  
أريدها حارة ، وهاجة ، أغلى من الذهب ... كحبي . .

أريد الأسلاك من أشعة الشمس التي تشرق كل صباح كحبي ..

وعندما نموت يا حبيبي جنبا إلي جنب أو متباعدين  
فاذكر دائما ان الأشعة التي تبعث فيك الحياة انما  
هي حبي ... عندما نموت ونصبح ترابا ونستحيل اشجارا  
مزهرة . أعرف أن أشعة الشمس التي عليها تعيش هي  
الحن الخالد الذي يردد إلى الأبد قصيدة  
(حبي)

ما هذا الحب يا (أوشاس)؟ ما هذا الشعر  
بالهبة الجمال إنها لنادرة ان تكون امرأة شاعرة إلى  
هذا الحد شاعرة كل هذا الشعور ما أشبه الحب الصافي  
لعله الحق يامن تبحث عن الحق .. ألم يقل المعلم (أيا)  
ان الله هو الحب والحق والخير وهو كل منها وهو  
هي جميعا؟

أيتها القصيدة على مر الزمان خالدة ما هو الحب ذلك  
الحب الصافي النقي الجميل؟ ان الحب ان صفا يجب ان تخلو  
من الجسم فليتعهد عن (أوشاس) لتكون الهة حقيقة لقلبه !

لعل مس شعاعها قلبه يكون تورا كاشفا عن اغوار  
البئر القديمة ، الحقيقة ، كلا ان الحقيقة قد تكون في بئر  
عميق ولكنها ليست هي هو .. هي ماس في أحجار ذلك  
الجب القديم .

كان يسهر الليالي مفكرا في معنى الحب وحقا لقد  
أحب أو شاس لما أبدته نحوه من عطف يحسه قلبه ويمسه  
جنانه بغض النظر عن انها امته واسيرته .. ولكنه حب فآر  
لأنها امته واسيرته ولأنه يملكها إن الحب يستعبد الحر  
ولا يرضى استعباد الرقيق . فتركها حرة وقطع على نفسه  
عهدا الا يمس حررتها لتهد قلبها وجسدها لمن تشاء ولكنه  
يحبها حبا صافيا نقياً فوهبت نفسها لغيره لأنه قاطعها

وجن جنونه ، اين الحكمة يا صاحب الحكمة ؟ واين  
الحق ؟ بالمرأة المخلصة لم يرض ولا بالفانية قدرضي .. ما هو  
الحب ؟ الحب هو الرغبة في شيء ينقص الإنسان فالحب  
قائم على اكمال الحياة والحياة تعيش بجسدها وبقلبها  
وبعقلها .. الرجل يحكم المرأة بالعقل .. والمرأة تحكم الرجل  
بالقلب والجسم يحكما معا ! .. هذا هو الحب : فأين

الصفاء وأين النقاء في الحب وهو ابن الحياة الذي لا يخلو من  
الجسد؟ إنما الأمل الواسع في الكمال هو الذي خلق هذا  
الجو السحري المليء بالشعر والخيال والذي رفع الانسان إلى  
درجة المثل العليا ليفكر في النقاء والصفاء... ولقد وجد  
الملك في المكتبة التي كان يقضى أوقات فراغه فيها حين  
يخلو من أعباء حكم البلاد الجديدة مخطوطتين يحملان قصائد  
عدة حول مواضع الحب... على أن قصيدتين اثنتين لذلك  
الشاعر المحب الذي كتب قطعة «وردة على قبر»...  
استرعتا انتباهه رغم عدم انتظامها وانسجامها ورغم ضياع  
كثير من الحروف وصعوبة الترجمة لتلك اللغة القديمة...  
وتأني جميع المصادر أن تفيدنا في أي بلد من بلدان الشرق  
كان ذلك الشاعر المحيد... ذلك الشاعر المجهول... ذلك  
المحب المعبذب المجهول... ذلك المطمون دائماً طيلة حياته  
ومات أيضاً بالطمان... ولقد استعان المعلم «أيا» بفهم  
القصيدتين في وضع الكلمات الناقصة منها حتى أمكن  
أن تكمل أمامنا اليوم... وقد عني بهما المليك لأنها عبرتا  
تماماً عن رأيه الجديد في الحب، فني واحدة يرى الشاعر

أن لا حب بدون جسم ويتمتدب لذلك اشد المذاب وهي :  
« نباي المضجع وحات الفتاة بوادي الفكر والخيال ،  
والذهب إن كان أكثر صفاء كنا له أكثر حبا ومهما  
صفا فهو مادة وكذلك الحب ففيه الجسم والجسد فان ومع  
ذلك نسمي الحب روحاً .

حدثتنا كل الأديان عن الجـزاء والمقاب ولكن  
في صورة مادية . . . وزات كتب الحكمة لتبعث الروح  
في الأجساد — فباعتراف كتب الحكمة كانت الأجساد  
قبل الروح .

والجسد مادة والحياة تقوم في الجسد ، هذا ما أفهمه  
من أن الحب هو الحياة كما يقول المحبون . . . وللجسد طبائع  
وعادات ففيه نوع من الفردية والتكيف بالبيئة والتأثر بها ،  
هذه الروح التي عنها يتحدثون . ولم يمالك العاهل الفتي  
نفسه من أن يصبح ، إنما الروح اليونانية تسيطر عليه  
وليست خرافات الشرق . . . إنه صاحب منطق . . . والروح  
اليونانية ترى هذا . . . وهنا صاحب « أبا » مؤلاى معذرة إن  
طلبت منك الصبر حتي أنتهي من الترجمة فتبدي رأيك

السامي لأن هذه المقاطعة تقطع جبل أفكارى .. « ومع  
هذا تتألم وتحل بكؤوسنا الدموع وبطعامنا المر إذا حل بنا  
الحب ، تتحدث عن السماء ويرتفع خيالنا إلى ألمع النجوم إذا  
حل بأجسادنا الحب ، نصعد إلى الملائكة في حين تدفع  
بأقدامنا إلى هوة الشيطان .. تمر مواكب الدهر تحمل  
مخارقاً عجيباً ظاهره ملائكة وقلبه شيطان ، بيده سهم منطوي  
بالزهور يصميه إلى قلوب البشر وقد وقفوا فاتحين صدورهم لهذه  
الزهور فاذا السهم يشق صدورهم ويستقر في القلب ويبقى  
ازهر خارج القلب ا

وترن في الفضاء ضحكات هذا المخلق العجيب الساخره .  
الألم في الحب يسمو بالروح ، وتصل سخرياته إلى آذان  
الجحيم فيبال الأبالسة والشياطين ويوقدون النار للفريسة  
الجديدة ، يتعذب الانسان والحب يسخر ويودي به إلى هوة  
الشيطان ويترك الانسان وأيامه قد فنيت في دخان وعظامه  
في مثل وقود قد يبست .

ويستبين في العقل صوت الله — إن كنتم بالروح تعشقون  
فأنا الوحيد من تعشقون ...

... ان كنتم بالروح تهيمون فلم بالجسم تهيمون ؟  
... وفي الورقة الثانية من اوراق البردي استمر الشاعر يقول  
يا الهى — ارفعني الى جبلك لأحتمي قريبا من السماء  
من شيطان الحب وصعدت تلاً قريبا من جبل الله فرايت  
ملاكا عزانى عن مصابى ودعا الله من جبله المقدس ومن  
هيكله الأقدس واستودعنى الله تاركا أخته معى وكانت فتاة  
هي اخت الملاك ! .. فيها فتنة الدنيا وروح من السماء ..  
بيدها جمعة تجمع فيها أزاهير الجبل وقد بانت يدها البلورية  
تخجل من الأزاهير أجملها وانسكب جمالها على نفسى  
انسكاب ماء الورد على المريض بالحمى الصفراء . هي من  
كنت عنها أبحث في خيالي ما أسعدني ، ما أسعد انسان  
الى نجمة السعيد قد صعد ، وكانت قبلتها خمرأً وجمرأً .. وحان  
رحيلي بعد أن تواعدنا على اللقاء في أحضان أشجار المشمش  
وقذفتى بياقة زهر فاستسامت لها فاذا بالورد يسقط واذا  
بسهم في صدرى وقلبي يصيح ؟ وتلفت حولى لأرى الفتاة  
قد انقلبت شيطانا ما كرا هو شيطان الحب وانظرت الوردية  
والترجسة فعرفت أن سهم الحب أصابنى ونظرت زهرات

المشمش قصيرة العمر مثل الأخطام التي يصورها الشيطان  
أيها الشيطان أُنسخر مني أنا المتمرد عليك ؟

أجاب وفيمن أطمع ان أسخر إن لم أسخر من المتمردين  
عليّ ؟ إني لأسكن قلوب أكثر أولئك الذين لا يفتأون  
يذمونني ، إنهم ينتقمون مني بالقول فيما عجزوا عنه بالفعل !  
وهكذا شربت دموعي مع كأس أحلامي وسمت الأبالسة  
تلان انتصارها على الفريسة الجديدة واستبان في العقل صوت  
الله — إن كنتم بالروح وحدها تعشقون فأنا وحدي من  
تعشقون ، ان كنتم بالروح وحدها تعشقون فلم بالجسم  
تهيمون ؟ ألم تعودوا بقادرين على التفرقة بين الروح والجسد ؟  
... إليكم أيها القادسون في طريق الزمان أنا الباحث عن  
الحب لم أجده إلا بين أوفال الحياة فاحذروه ... ومع هذا  
سوف تحبون ... كاتبه ملك من الملوك هام بالشعر .. وهام  
بالحق وعرف أنه في مكان يدعي « مآت » ساءذهب إليه  
ذات يوم لعلني أعرف الحقيقة . . .

استرعت تلك الفقرة الأخيرة اهتمام العاهل الفتي  
واعتلاه الوجوم .. لعل القائلين بالتناسخ قد صدق زعمهم

وَأَنْ رُوحَ هَذَا الْمَلِيكَ قَدْ حَتَّ بِهَذَا السَّيِّدِ الْجَدِيدِ . .  
وَتَرْجَمُ الْأُسْتَاذَ « أَيَا »

« إِلَيَّ الدُّوْحُ الْمَزْهَرُ الْبَضِيرُ اعْتَزَمَتِ الرَّحِيلُ بَعْدَ أَنْ  
رَأَيْتِ الْغُرُوبَ أَرْغَبَ الشَّرُوقَ لَتَمْسُدَ حَبْسَتِي اللَّيَالِي فِي  
سَجْنِهَا فَأَرَدْتُ الْحَرِيَّةَ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ حَيْثُ أُرْسَلُ أَنْاشِيدَ  
الْحَيَاةِ . . أُرَدْتُ أَنْ أُلْحِقَ بِالطَّيْرِ السَّارِي تَحْتَ الضُّرُوءِ فَطَارَ  
بَعِيدًا فِي الْأَفْقِ الْوَاسِعِ وَتَرَكَنِي . هِيَ الْمَرْأَةُ عَلَتْ بِاسْمَاءِ اللَّهِ .  
امْرَأَةٌ تَحْسُنُ الْعَزْفَ عَلَى أَوْتَارِ كُلِّ قَلْبٍ ، فَيَحْسِبُ كُلُّهَا  
لَهُ وَحْدَهُ بَيْنَا هِيَ لِلْجَمِيعِ . . تَحْمِلُ السِّهْمَ وَغَضْنَ الزَّيْتُونَ .  
أَنْهَا زَهْرَاتٌ عَجِيبةُ الْأَلْوَانِ لِكُلِّ لَوْنٍ مَعْنَى فَتَحْسِبُ فِيهَا الْمَعْنَى  
الَّذِي تَرِيدُ بَيْنَمَا هِيَ الْأَلْوَانُ جَمِيعًا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ .

يَا إِلَهِي هَبْنِي صَدِيقًا يُقَاسِمُنِي الْمَرْوَةَ وَيَمْسَحُ عَنِّي الدَّمْعَ  
هِيَ امْرَأَةٌ مَا كَرَّةٌ لَيْسَ فِيهَا عَقْلٌ بَلْ فِيهَا جَسَدٌ وَهَوِي .  
وَلَقَدْ كَانَ قَلْبِي رَوْضَةٌ مَقْفَلَةٌ فَجَاءَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ تَفْرِي الرُّوضَةَ  
بِغَرَسٍ جَدِيدٍ . . تَسَلَّتْ إِلَيَّ قَلْبِي كَالْخِيَالِ وَكَانَ يَبْدُو خَاتَمَ  
سُخْرِي يَجِبُ الْمَطَالِبُ وَيَحْقِقُ الْأَمَانِي فَحَقَّقَتْ أَمْنِيَّتَهَا  
فِي الْاِسْتِيْلَاءِ عَلَيَّ قَلْبِي . .

يا إلهي الذي في السموات العلى . . هبني من يقاسمني  
المر ويمسح عن عيني الدموع واهتزت أعواد المنابر وتمايل  
الآلهة وقال وحي الله . وجدناك تدعوننا أيها العبد الضال  
في حرقه ولوعة إلى إيجاد صديقي يشاطرك الأسي . ألا فاعلم  
أن طبتك من الآلهة قد أُجبت

وصادفت في الحياة صديقا وراح للمرأة يرجوها ألا  
تفعل أفاعيلها السحرية بروضة طيبة

ولكنها تشاغت عنه ودخلت إلى روضته هو الآخر  
فامتلك قلبه وأحبها ! و اغتظت وذهبت لقتل صديقي .  
وانكبي تذكرت اخلاصه وتآمرنا ضدها على مكيدة حاسمة  
فإذا بصوت يصيح في قلبينا

درا ما نشاء ان فانا في قلبيكما ؟

ألا ما أقوى المراه

أيتها الأجيال القادمة في طريق الزمان احذروا  
المراة ، ولكنكم ستحبون حتما . كتبه ملك من الملوك  
بحث عن الحق في كل مكان وعلم انه في ( مآت )  
فبو ذاهب إليه »

وكانت الأفكار قد ساكنت بالأُمير كل مسلك فهل  
يعتقد بخرافات التناسخ وهو المـسـؤـمـن بالمـعـقل الـيـونـانـي ؟  
وهنا سأل ( أيا ) اما تعرف مكاناً يدعي ( مآت )

وفرح الرجل وبرقت عيناه بريق الشرقى الغامض الحالم  
المؤمل وقال . لعل للقائلين بالتناسخ بعض الحكمة يمولاي  
ربما روحه قد حلت بجسمك . إني أدرس السحر وأعرف  
مكاناً بعيداً يتعبد فيه الانسان ويظل في تعبده ودعائه حتى  
ترشده ( مآت ) إلى الحق سواء في اليقظة أو في الأحلام  
وسخر الملك قائلاً : لعل الحقيقة في السحر في الخرافة  
في اللاحقيقة . على أنه استدرك فقال : وما فلسفتك  
الطويلة التي بادرتني بذكرها تلك التي تم عن تعمقك في  
دراسة فلسفات اليونان ؟ مالك قد عدت ساخراً ؟

وهنا ابتسم الرجل — ذلك كلام تعلمناه لنقنع به  
الجهلاء ونحن لا نؤمن به . ان منطقاً لا نستطيع أن نسميه  
كذلك — لأننا لا ندرکه — يحكم هذه الدنيا ويسوسها .

وفي المساء اثثرت زهر النجوم . . أيتها السماوات . .

ما الحقيقة ؟ لتكن رقعة السماء كلها مضيئة لنعرف الحقيقة .  
هل الحقيقة في السماء اذ تبدو على سر الأيام ضياؤها وتزداد  
النجوم حتى يأتى يوم لا يعرف فيه الظلام ؟ . وحملت النسائم  
الرغبة فى ( أوشاس ) الجميلة الرائعة التى ضيقت الصفاء  
والنقاء من الحب ولم تعتمد غير أنى ومع ذلك يحبها ، الا  
ما اصدق ذلك الملك الشاعر صاحب القصائد . وفكر من  
جديد فى ( مات ) البعيدة كل البعد التى تعتمد على الخيال  
والحلم والسحر . لقد حمل لأوشاس كل حقد ومع ذلك فقد  
تمناها وناداهما فأرسلت له قائلة : — إن سيدي قد أراد  
أن يحبني حباً صادقا ، ولذلك وهبني الحرية لأن الحب يستبد  
الأحرار ويأبى استعباد الرقيق . فبني فى حبل من أن تعتذر  
وتمنع ، ونادي غير ( أوشاس ) وأقام ليلة حمراء شرب فيها  
النبيذ المعتق الذى باركه باخوس بكرم من قهرمان قديم  
ونادي المنية التى كانت أوشاس قد أوصتها أن تغني له  
.. الالهة نفسها تحب .. وتعشق وتهيم ..

لقد كان تاموز الها جيلا فى ريعان الشباب  
وأحبه اشتار الهة الهوى والفتون .. والنسل

.. واشتعلت نار الحب اشتعالا في قلبها فأخذت قطعة  
من الحديد صماء وحورت شكها في النار إلى سكين ..  
وحينما تجددت في قلبها وجسدها النيران دفعت السكين في  
قلب تاموز . وبكت أشتار آلهة الهوى زوجها المحبوب  
وتهاقم اللهب إزاء الفسراق المريع فذهبت بعد استعطافها  
الآلهة إلى العالم الآخر .. وسجنت هناك إلهة الهوى والشباب  
وانقطع عن الدنيا النسل ولم يعد يعمرها حب ولا هوى  
والناس أحياء كالأموات لأنهم لا يتحابون ولا ينسلون ؟  
فراأت الآلهة أن تبث إلهة العشق والنسل إلى العالم  
فعادت تقبل زوجها الذي عاد معها . واتصرح آلهة الفتون  
والنسل .. وسرى إلى الناس حتى اليوم ! أهذه حقيقة الحب ؟  
نعم اذن فالحب جسدي والجسم لا يؤدي الي حقيقة ...  
وسمع أن ( أو شاس ) حبلى .. لأول مرة .. وسوف تضع  
له ابنا ولكنه تشاغل عنها بامرأة أخرى وان كان تمنعها قد  
أشعله رغبة فيها !

وذهب الي المكتبة واعترته بعض الدهشة اذ وجد تمثال  
( أرسطو ) الذي قذفه من الشرفة حين قال له ( اذهب

تُلبث عن المحرك الأول (بن الأفلاك) وجدده محطاً وتذكر  
أن أرسطو بنى بحثه الميتافيزيقي على علم الفلك الذي كان قد  
تغير في ذلك الوقت ، فالعلم يتغير من حين إلى حين ولكن  
مع هذا نجد المعلم الأول اليوناني يعتبره الأساس في بحثه الهام  
عن المحرك الأول للعالم

لماذا لا يخطيء اليونان كما يخطيء سائر الناس ؟ ولماذا  
لا تكون الحقيقة في السحر والخيال والوهم ولعل اللاحقيقة  
تحمل معنى الحقيقة .. وراح يقرأ أوراق البردي التي تحمل  
أشعار الملك الشاعر المجهول الذي بحث عن الحقيقة في  
(مآت) وفكر في (مآت) هذه أين تكون ؟

ونادى (أيا) المعلم وابتسم قائلاً — وأين السبيل إلى  
(مآت) يا أستاذ ؟ فابتسم الأستاذ ابتسامة غامضة — أنى  
أدرس كتب السحر واستنطق آثار ذلك الملك المجهول الذي  
هام بحب الحقيقة في يوم من الأيام وأكثر الظن أنها بمصر  
لأن جوارق الصائد التي كتبها الملك شبيهة بطبيعة وادي النيل —  
وثانياً إن الاسم (مآت) هو روح التسوع في عهد ديانة  
آمون المصرية . ولقد حدثتك يامولاي . أنها روح الحق

والعدل والحقيقة .. ولكنني أتساءل كيف كان مقر هذا  
الملك مصر ثم يذكر أنه ذهب إلى مكان يستدل بالمعنى على  
أنه مكان بعيد عن مصر

— وهل أنت على يقين من أنه عرف المكان  
بالضبط أو وصل إليه ؟

— سوف أدعو كتب السحر أن أحلم حلما يداني  
على المكان .

— سنرى سحرك يا صاحب السحر ؟

وحلم الملك حلما غريباً : —

رأى حديقة مشمرة فيها شاب وفتاته الطموحة التي  
تنشد الثمر من أعلى الشجر وفي ضوء القمر بدت الفاكية  
جميلة كثريات السماء فصعد الفتى إليها وكلما امتلأ جوفه منها  
قلت قيمتها ! .. صعد وظل يصعد ويقذف لفتاته التي ماتزال  
تفريه بالصعود إلى عليين وفجأة قالت له : أنى أرى فوق  
الشجر ماساً براقاً أخذاً . انه مناي .. انه لهجيب أن يكون  
الماس في الشجر .. لها شجرة الماس التي عنها يتحدثون ..  
اصعد فأنى أرى من هذه الماسة الكبيرة تاجاً .. هيا اصعد

واقبض عليها حتى لا تطير .

وأغراه الأمل وصد وأراد ان يفاجيء الماسة الكبيرة

بالقبض عليها في العلى وهم يقبض عليها ولكنها قبض على الهواء

فسقط على الأرض صريحا اذ لم يكن في قدرته ان يعطيها

القمر ! وضحكت صاحبه وسارت الي غيره ليذهب ضحية

طموحها . . . وعندما سارت في شعاب الأرض كان وراءها

اسم مكتوب ( مآت ) ولكنه مكتوب بالأزهار وبالنار !

وصاح الملك صياحا مزججا ثم نام وحلم من جديد .

كان يسكن قريبا من الحوريات المغنيات المدعوات

( سرينات ) في أسطورة الاغريق رجل أصم وصر بجزيرته

طبيب حكيم وفق الى علاج الصمم وحقق بذلك للرجل

أعظم أمانيه التي كان ينشدها وهي السمع . . لأن كل من

صر بجزيرته سواء كان في زورق أو في سفين كان يذهب

ليسمع ذلك الصوت الموسيقي الرائع الخلاب الآتي من بعيد . .

فلما عولج الرجل من صممه وأراد ان يذهب الى وادى

السرينات وسط العباب والأباج — وحسب ان السعادة

والجنان في تلك الجزر السعيدة — وذهب ليلقي حتفه حيث

ظن سعادته كما لقيه كل من مر به من الخالمين الذين يريدون أن يأمسوا حقيقة السعادة ! . ووجد السرينة الكبرى وقد كتب خلفها بالأزهار والنار ( مآت ) وصاح الملك صياحا من عجا ..

ورأي بعد ذلك حاميا يمثل أسطورة الطوفان الكلدانية .. بعض الآلهة تتآمر على إنعراق العالم عدا واحدا من البشر . وملاً العالم الطوفان وصير أعلى جباله وأعماق بحاره سواء .. وسار صاحبنا الأدنى يركب على الأمواه .. وصار عزيزا عند الآلهة هو وزوجه فرفتهما إلى مقامها . وكان أبنائهما في نعمة جزيلة فامتدت لهم بسط الأرزاق .. واغتروا بأنفسهم وملاّت نفوسهم الكبرياء .. فبنوا في بابل برجا هائلا ليصعدوا إلى الآلهة ولكن الآلهة أنزلتهم إلى الأرض في ذهول وأصابتهم الآلام وحلت بوادئهم الخضار المزهر المر والحسك .. وحلت بعيونهم اللامعة بالأمل الدموع .. وعندما تبين الآلهة التي كانوا يسمعون لها والتي أنزلت بهم هذه المحنة وجدوا أسماء مكتوبا فوق أشلاء القتلى ( مآت ) . وكان الصباح وارتاع الملك للأحلام ولكنه يوناني

التفكير فراح يستنطق كتب ابقراط ويستعين بأطباء القصر  
فصرف أن تلك الأحلام المزعجة إنما حدثت لأنه أفرط  
في العشاء والشراب ومتعة البدن .

أكان ذلك الإفراط بلا سبب ؟

هل أراد أن ينسى (أوشاس) التي قاطعها فصبرت  
صبر الملكات الكريهات ولكنها سوف تنجب ولداً أو بنتاً  
فلا بد في الأبوة والبنوة بمض الحقيقة .

\* \* \*

ووقف من شرفة المكتبة علي الكتاب والجيش  
يستعرضها في الساحة التي لا ترى العيون نهايتها . . . وهناك  
في الجانب قام البحر . . . يلقي بأنفاسه الموجية إلى الأرض  
منذ الأزل وهو يهمس فيها بالأسرار فمن عرف سره ؟

ورأي العالم بسيطاً غاية البساطة لمن شاء أن يعيش ابناً  
للدنيا وعادته الرؤي والأحلام فرأي العالم لغزاً معقداً دون  
حله فناء الجسم وعذاب الروح

ولم ينس تلك الأحلام الغامضة التي تنبئ بهلاك كل  
تطاول على معرفة سر من أسرار الوجود .

.. رأى أن كل ما وصل إليه هزيرل ضئيل وان كان  
من قبل الوصول إليه عظيما غالبا . فها هو يملك المال  
والسلطان وها هي رقعة دولته قد اتسعت والدول تنحني أمامه  
المحناء الاماء ، وها هي ذي ( أوشاس ) المشعل الموحى  
للشعراء والفنانين ، وغاية ما تمناه المملوك من بهاء الدنيا وجمال  
الكون .. ها هي بين يديه وهو مع ذلك يهجرها ويعاملها  
في دلال وكبرياء ، وقد كانت من قبل آلهته المعبودة ..  
فأين يجد ذلك الينبوع الأسمى لروحه العطشى ؟ أفى الكتب  
وفلسفة الحكماء التي قتلها بحثا فلم يخرج منها الا بتجدد الرغبة  
في البحث ؟ أين الحق اذن ؟ انه في الدين ، في الله ، ليبحث  
عنه في كل مكان وليتبع الرؤي والأحلام فلعلها تهديه إلى  
الصراط المستقيم ا

واتشربت زهر النجوم في السماء بعد النهار الطويل ..  
وفي الليل ذى النجوم تجد الظلام الذي ترفرف فيه الأحلام  
المؤماة في النور .

... أين الحق ؟ في الله ... في السماء ... فأين الله ؟

وما سر السماء ؟

ما أحراه أن يكون مثل ( كيريز اشبا ) في أساطير  
الفرس . . ذلك الذي صنع حسنة ولحقها بسببته فلم تعرف  
الآلهة أين يكون مكانه . . ووضعته على الأعراف بين  
الجنان والسمير . . بين الحق الذي لاحق غيره وبين الضلال  
الذي لاضلال بعده . . هو بعينه ذلك الملك الشكاك الباحث  
عن الحق ولا يعرف أين هو والمبتعد عن اللاحق فلا يدري  
أين هو فوق حائر ألا يدري المصير مثل ( كيريز اشبا )  
الذي لا يعرف أمصيره الكوثر أو عذاب السمير ؟

وعندما اشح الليل بمسوحه السود دخل المعبد بين  
الشموع التي تزدوى لتضيء . . وشم الأبخرة التي تتلاشى  
لتبعث النشوة إلى الآلهة . . وأمام الضحايا التي تموت لتبعث  
الآلهة الحياة في الناس والكائنات .

رأى النقوش على الجدران فيها الفن الذي تصاعد من  
قلوب الفنانين كما تتصاعد الأبخرة والعطور من مبخرة عاجية  
في معبد الآلهة . واعتراه الخشوع ولكن سرعان ماذهب  
في اغفائة أبعدته عما يرى وأنسته ما في الدنيا وراح في وادي

الرؤى والأحلام . قالت له ( مآت ) . حيث تجسد الزهر  
الجميل السام ، حيث تجسد البيغاء الفصيح الذي لا يفقه شيئاً ،  
حيث تجسد الماس في الحجر ولا تستطيع أن تأخذه ، حيث  
تجد الموت حياة والحياة موتاً — سوف تجدني أنا الحقيقة  
والعدل والعقل .. أنا ( مآت ) .

واختفت مآت ..

وجاءت آلهة أخري — مائه الشموع والطيب  
والضحايا والتصاوير والتمثال في المعابد هل ترضى بها وأنت  
ابن الفكر الاغريقي الدقيق المنطقي السليم التفكير الذي  
ينبض بالحياة في الفن بعيداً عن المغالاة عند الشرقيين ..  
ما هذا الموت إنك لن تجدني هنا مطلقاً .. أنا الحقيقة ..  
إنك تجدني في قلبك .. في نفسك وحدك .. اعمل لي  
سوف تجدني أمامك أفصح بلاغة وتعبيراً وأروع تقديراً  
مما تري أمامك من تصاوير وشموع .. أنا في نفسك ..  
أنا وحدي التي عنى تبحث ، ألم يقل أبوك ( إن الحقيقة  
أسهل من أن يجاهد في سبيلها ) لأنها في نفسك أنت  
وحده ؟ ...

أنا أعلم أنك لا تجبني لأبي في نفسك ، وأنت يوناني  
الفكر باحث ، والبحث شك .. ستظل طيابة حياتك باحثا  
وكما وجدت شيئا لم تعتقد أنه الحقيقة حتى لو حظيت  
بالحقيقة نفسها لظلمات تبحث بعدها . ولو كان المحال ووصلت  
إلى كل أسرار الوجود فستجد نفسك إلهاً ولكنك ميت  
ابن ميت .. أنا الحقيقة في نفسك وعملك . أنا من أسماء الله  
أناديك باسم الرحمة التي هي اسم آخر من أسمائه الحسنی ..  
إن دعك من البحث والشك .. هذا الشك الذريع الذي يأتي  
عليك .. ماذا عليك لو عشت قائما بالحياة تحكم بالعدل والعقل  
فتحقق معنى كلمة ( مآت ) التي تريد ؟ إنك إنسان فلا تكن  
مغروراً إنك لن تدك الأرض ولن تهز الجبال .. وما انت  
بخير من كل هؤلاء الذين بحثوا عن الحقيقة . فوق شجرة  
الماس التي رأيتها ، وعلى الجزيرة القريبة من جزر السيرينات ،  
وفي أسطورة الطوفان عند الكلدانيين . كل من هؤلاء  
المغرورين ذهب ضحية الغرور والكبرياء والشك فلا تكن  
منهم .. أنا الحقيقة أناديك من قلبك .. ذلك الصندوق  
الالهى المفلق الذي سيطلعك كل يوم على سر جديد ..

أنا الحقيقة في نفسك ألا تسمع صوتك ؟

هذا العالم المليء بفنون الكائنات لا يجب أن يعريك  
لأن نفسك فيها أتمن مما فيه . فيها العقل والشعور . . إنك  
ترى العالم بالعقل والشعور فلو ذهباً هل ترى شيئاً ؟

أنا نفسك ألا تسمع صوتك ؟

واختضبت (مآت) الثانية

وجاءت إلهة ثالثة — وقالت — إنك ترى نفسك  
متردداً كل التردد كلما وصلت إلي معرفة جديدة . . إنك  
لا تتق أنك وصلت إلي أي حقيقة . . ومع ذلك تخبرك تلك  
التي تنتحل لقب (مآت) إن الحقيقة في نفسك فإذا كان  
الأمر كذلك فيجب أن تستشعر من نفسك الطمأنينة  
والدعة والفرح لأنك حظيت بمعرفة الحقيقة وإمكانك  
متردد فليست هي الحقيقة تلك التي أنبأتك أنها الحقيقة وإنما  
أنا الحقيقة فأبحث عنى — أيها المحب — في الأرض في الدنيا  
الشاسعة بين الجبال والبحار حيث تجد اسمي مكتوباً بالأزهار  
وبالنار (مآت) أنا جميلة وعظيمة نادرة فلا تنالني حتى تشقى  
شقاً يستأهل الحقيقة وذهبت (مآت) الثالثة

وجاءت إلهة جديدة وقالت : أنت تبحث عن الحقيقة ؟ لماذا لم تأت إلي ؟ لست الفلاسفة ولا العلم ولا شيء من هاتيك الأنبياء جميعا أنا الحياة الحققة لأنها أنا الحقيقة أنا الموت . تعالي إلي لتعرف الحقيقة سل أي عاقل بل سل نفسك أليس الموت هو النهاية المحترمة ؟ أليست هذه الدنيا متاع الغرور وما هذا المتاع إلا قليل لا يذكر بحوار استمتاع ذلك انني يعرف أسرارى ويحلى بحلمه المنشود ؟ وذهبت (ماتت) الرابعة وجاءت إلهة جديدة : آه منك بعد طول الهجر . ماهذه الحيرة وهذا الاضطراب . أنا زوجك الحبيبة . أنا أمك . أنا ابنتك . أنا المرأة شريكة حياتك فلماذا يا حبيبي الشاب تعاملني في دل وتيه وكبرياء ؟ لقد أتعبت رأسك الصغير لأني بعيدة عنك . شغلت ليااليك بما لا يفيد أنا الحياة أنا نار الفراق إن غبت عنك ، أنا نعيم الحب إن أقبلت إليك تعالي إلي في خدري ولا تبحث عن غيري في يطون كتب الحكمة والفلسفة ولا تهيم بين الممايد . تعالي أدرس على أعامك الحب وهو خير مما في يطون الكتب وإن تأقت نفسك العبادة فسوف أنصب نفسي حينما تقبل

موطىء نعاله . دعك من كل هذه الأمور . إن خدري هو  
عالم بأسره وإن صدرى هو عشك الهانىء يرفرف فيه خيالك  
بأسعد الأحلام ، تعالى يا صغيري . وذهبت ( مآت ) الخلامسه  
وجاء إلهات صغيرات جميلات براقات قالت إحداهن  
وقد كانت وهاجته كضوء الشمس أنا الذهب الذى منه كان  
قلب أيبك الحكيم . أنا الثروة والجاه والملك العريض .  
أنا النعيم . وقالت الثانية وقد كانت ناضجة الجسم فيها  
القوة والنشاط أما أنا فالصحة حيث تنعدم الآلام . أنا  
خير من كل ما رأيت . ألم تمرض فتعرف الأوجاع  
والأحزان والمر ؟ أنا الراحة تعال يا حبيبي اخترنى وحدي  
دونهن جميعا . وقالت الثالثة وقد كانت بريئة صغيرة . .  
أما أنا فكلامى أبعد ما يكون عن الرياء لأنى طفلة . أنا البنوه .  
النسب ينحكىك وانت عظيم تنشد الخلود فتعالي إلى يا أبى  
وقالت الرابعة وكانت ضعيفة فقيرة الجمال . لا يعرف جمالهن  
المزيف . أنا الفلسفة والعلم والعرفان . أنت ابنى فتعال لتعرف  
الحقيقة .

وصحاح المليك فوجد نفسه فى خدره محموما

أيهن الصادقة؟ كل منهن تدعي الحق فأين هو الحق؟  
آه لهذا الشك المميت . أين المصير؟  
هل عرف كيريز اشبا مصيره وهو على الأعراف؟  
فكيف يعرف الأمير مصيره وهو لا يدرى النار من  
النعم ولا يستطيع التمييز بينهما؟

أرسل المعلم (إيا) إلى الأمير يستقدمه لاطلاعه على  
ترجمة لقصيدة جديدة للملك الشاعر الباحث عن الحق  
ورأي الملك أن يرفه عن نفسه بشعر الشاعر ثم يستطلع مكان  
(مآت) روح الحق والعدل والعقل .  
ولما وصل إلى المكتبة حياه المعلم تحية تفوح لهفة وشوقا  
وكان المعلم قد وجد في المليك ضالته التي تحقق له البحث عن  
طرق لا يستطيعها هو . فقال - استمع يا مولاي وسرى عن  
نفسك فهذه قطعة لذلك الشاعر الهائم بالحب الباحث عن  
الحق . يصور فيها شكه اذ اجتاحتها أزمة عاطفية يتصور فيها  
الشياطين وما أحرزته من فتنة وجمال . عنوان القطعة  
(حلم ليلية الصحراء)

( في الصحراء الرجبية حيث ألقى الليل وشاده على  
الأرض الذهبية . هناك تمت من الضنى وعناء الطريق . هناك  
فوق الذهب المتشح بالسواد حامت حاملاً

.. وقفت يباني الشياطين فاعرّة افواها مثل كروف  
تقطنها الثعابين . وتضج في أذني ضحكات رن رنين  
الحجارة الملقاة في قاع هوة سحيقة مظلمة ، تلوح لي بمنجلها  
في سواعدها الثعبانية ، وقد بدت حمرة الدماء فوق المناجل ،  
وزيران الشر تتطاير من أعينها المشتعلة . وأشواق الغدر  
نبتت كالشعر في أجسامها المطفأة . تقف يباني الشياطين على  
هذه الصورة تريد ان تقهرني لأنى تمردت عليها ولوكن  
رغم الذعر والظلام اجد من روجي الطموحة صفرة الشجاعة  
ألوذ بها . لكن الشياطين لا ترضى بالهزيمة وتعرف كيف  
تهزم وتخدع .. رأيتها تفوس الي اعماق البحار السبع  
لتأتي بحورية ، وصعدت الشياطين الي القمر حيث سرقت  
وجها ، ومن الليل البهيم اختطفت الشياطين شعرها ، ومن  
اعماق البحار والحياة كانت عيناها . ومن الهواء السارى  
سحرت الشياطين خفتها ورقتها ، ومن اسنان الفيل وقلوب

النخيل كان لون بشرتها ، سرقوا لحدها من التفاح لونه ،  
ومن الوردة القرمزية كانت شفتاها ، وأرادت الشياطين أن  
تصنع لها قلبا فرأيتها تندفع إلى باطن الأرض لتخرج بأصلد  
حجر ومنه قادت قلبها ...

وتذكرت أن فلاسفة اليونان قالوا بالناصر الأربعة  
وقد رأيت الشياطين تستخدم الهواء التي منه كانت خفة  
الجنية ورقبها ورأيت التراب أو الحجر ومنه كان قلبها ..  
فتساءلت أين النار وأين الماء .. رن في الجو البعيد بعد الزمن  
العميق عمق البحار السبع .. من يقرب الجنية الساحرة يضاب  
بالنار في قلبه والماء في عينه !

ولما رأيت الجنية جن جنوني فقد رأيت ملاكاً نشأ  
في نعيم جنان كنعان .. أهكذا تدخل الشياطين الجنة ؟  
وتدخل لتسرق أجمل زهرة فيها ؟ أجابت الشياطين . وفيهم  
نطمع أن ندخل ان لم نطمع في دخول الجنة ؟ وماذا نقطف  
ان لم نقطف أجمل زهرة في الجنة ؟ ..  
هل أنتم آلهة أيها الشياطين ؟

— اننا آلهة ولنا عباد عند جبل شاهق وجب عميق

جبل تميمه النار وجب تميق تسكنه الأشباح والشياطين .  
أين الحقيقة ؟

وصحوت من نومي على صوت زوابع محملة بالرمال في  
الصحراء وفوق الأرض الذهبية المتشعة بالسواد دخلت إلي  
في حبات رمل . . أجمته عن أن يتساءل عن الحقيقة . . .  
ولكنني أتساءل لعلها من لدن الحقيقة تلك الجباب . . نعل  
مآت التي أنا ذاهب إليها ترشدي . ( كاتبه ملك شاعر هام  
بالحق وعرف أنه في ( مات ) وسيذهب إليه ) وفكر الملك  
في أحلامه هو فرأى أن أحلام الشاعر المجهول تختلف في  
تفاصيلها عن أحلامه أما المغزى فهو واحد على وجه التقريب .  
إن الروح التي أملت على كل منهما أحلامه هي روح البحث  
عن الحق والشك فيما هما عليه من شؤون الحياة التي وصلنا  
إليها . . . ولقد ذهب إلي ( مات ) ذلك الملك المجهول حيث  
حظي بالحق فيجب أن يلحقه ، ولكن لم لا تكون ( مات )  
هذه في نفسه أليس العقل والعدل والحقيقة في نفسه ؟ كلا  
ليست جميعها في نفسه وإلا فكيف يظل يبحث ويشك فيما  
يبحث فيه ووصل إليه . وهنا تساءل من جديد وما الذي وصل

إليه ؟ . لقد هدم كل ما وصل إليه . لقد خابت أمانيه لأنها  
تحققت فلم تعد حتى خليقة بأن يذكرها . . . وعلى كل فقد  
وصل إلي جانب كبير من العلم فقد حقق أمانيه العقلية  
وقتلها ولم يحظ بالحق ، وحققت فكرة الحب الصافي النقي  
وألمب شعوره وملاً فراغ قلبه وحققت أمانيه فقتلها ولم يحظ  
بالحق ، ثم أحب الجسد وهام به وحققت فيه أحلامه فقتلها  
ومع ذلك لم يحظ بالحق . . . أي أن كل أمانيه قد تحققت  
لتقتل وكان كل قيمة لها كانت في الحرمان . فما هو الشيء  
الذي يمكن أن يعرف ويظل كما هو عظيماً على كره العداة  
وسر العشي . . . خالد على الزمان يتناول على هام السنين ويجهز  
على الفناء بنصل حاد . . .

هو الله الذي يجب أن يعرف . . . نعم يجب البحث عنه  
ولكن ليس هناك دليل معقول على أن الله سيعثر عليه في  
مكان من الأمكنة . فلماذا لا يكون ما وصل إليه وما تحققت  
هو كل منافي الحياة من قيم وليس لغير ما وصل إليه وجود  
ولكنه يحيا فلا بد أنب للحياة قيمة ولها سرا وهو ليس  
أمامه فيما وصل إليه سر من الأسرار فلا بد من البحث عن

هذا السر العميق ، ولكن لم لا يكون سر الحياة في اللاحياة ،  
في الموت فان الباحث عن سر الظلام يجده في النور فالشيء  
يعرف بضده — وهنا قال للمعلم ( ايا ) أيها الرجل الساحر  
إني أريد أن أذهب إلي الموت وأعود ، فأعطني دواء عليه  
التعاويد السحرية ليحقق أملي .

وهنا ارتعد الرجل وقال — ما الذي حدث يا مولاي ؟  
— ان حياة الشك التي أحيها لا تطاق ولا بد أن أذهب  
لأرى في أى مكان ذهب ( كيرين اشبا ) التائه على  
الأعراف . . . على رسلك أيها الساحر . . . السحر والطب  
صنوان في بلادكم فييا . واستعن بعلمك وجهز لي الدواء  
— عندي ضرب من شراب ( السوما ) ممزوج  
بأشربة صينية وفارسية وقد قرأت عليها تعاويد كلدانية لهلاك  
تصعد إلي ( النيرفانا ) وتعرف أسرار العقل البشري جيما .  
— ألا يدخلها عنصر يوناني ؟

— مولاي إن اليونان قلب الحياة النابض وما أبعدهم  
عن أن يتصوروا نعيماً غير الحياة . . ثم إنهم أصحاب العقل  
الذي يسيطر على الحياة ويرفض الأساطير . . اللهم إلا في

قصص ومسرحيات لمجرد اللبؤ ولا متاع الخاطر وسرور  
النفس ، أما العقل فمنظم آله المنطق

إذف فجهز الشراب ولا حظ أنه يجب أن أعود الى

الحياة وإلا فالويل لك .

— سأفعل هذا على أنى سأسبر غور التاريخ لأعرف مكان

(مات) علي ظهر الأرض .



## الجزء الثاني

### ﴿ مآت ﴾

في عهد ديانة (أمون) كانت (مآت) روح العقل والحق والعدل... كانت روح التسوع الالهى .

— ١ —

وذات مساء قاد (ايا) الأمير الشاب الى حي السحرة والفجر ، وهو حي يموج حياة ويتلوى حول الموسرين كما تتلوي الأففي في سلال التين . هناك قامت الحياة في بيوت أشبه بالكهوف وكان المكان مزدحماً بالمتفرجين على السحر والساحرين . . يفص برواد اللهو أو بمن أعوزتهم الآمال والرغبات على تحقيقها بالسحر ، فتلك امرأة تريد زوجها ، وفتي يريد حبيبته في ظلال الغاب بين همسات الشجر وفتاة شابة سقطت عليها أشعة الحب ذات مساء فأشعلت في القلب ناراً جاءت تخمدها بيد الساحر ، ولقد كان المكان غامساً بالنساء فهن ربات السحر وإلهات

## الأساطير .

.. كانا سائرين على الأقدام متخفيين وقد دفعهما إلى  
الولوج في تلك الضجبة أزيمة بضد الأمير قد أملت  
فاستحكمت ، هذا وقد رأى — ايا — كعامل أساسي أن  
الأمير يجب أن يمتاد الجو السحري لكي يثق به ويؤمن  
بأفعاليه البجبية ! ..

ولقد تلهى الأمير حقاً ، فقد رأى الأعمال الغريبة التي  
يتحدث بها المشرق والمغرب ، وأعجباً كيف ابتلع هذا الرجل  
الطويل النحيل حزمة أسلحة بأسرها ؟ وذلك الذي دخل  
النار وخرج فكانت على جسده برداً وسلاماً ! ولقد حاز  
إعجابه ذلك الذي التف بالأفموان المائل وأكل بضع ثعابين  
صغيرة ، وفقر الفهم دهشة إزاء الذي قتل نفسه وأحيانا ..  
وأمسك البعض حجراً تغير إلى جميع الألوان ثم نبت  
من بين ذراته زهرات من اللوتس ( والسيرش ) .

ثم حل الوقت المخصص للتنبؤ بالمستقبل والرجم  
بالغيب ، هذا يقرأ في وجه الليل المظلم آيات المستقبل من  
وراء النجوم وينظر إلى باطن الأرض ليحدث عن الماضي

كأنما الحياة أسرار تساقط من السماء إلى الأرض ، والأرض ذات سر قديم والأرض أم الماضي يكبر بين أحضانها المستقبل ليصير ماضيا ، وذاك الرجل العجيب المتمم بالتعاويد المغض العيين يستطلع ويتنبأ وينير وهو في ظلام وكأنما الحياة ربيبة المميات والطلاسم لا يكشف سترها إلا السحرة !

كان القوم الذين يرغبون استطلاع المستقبل من أيامهم يقدمون أجراً حسناً ، قطعة نحاسية أو عددا من البيض أو قطعة من صوف الابل . فألقى الأمير قطعة ذهبية إلى الساحر الذي ففر الفهم دهشة واعتبرته موجة اعجاب أن يجد هذا السيد الموسر قد ولج باب فنه فعمل على أن يتوخي الحفيظة فيما يسرد ويقول ..

وتتم ونظر من أعلى إلى أسفل في حركة عريضة ثم في اثناء بسيطة رفع نظره من الأرض نحو النجوم ( إن الأيام تنحدر من عليين إلى بطن أمها الأرض ولكن طموحك يرد تراب الماضي المدفون أملا يصعد إلى المع النجوم . الحياة تنحدر إلى أسفل ولكنك تحاول النهوض

فهل تستطيع مغالبة الحياة ؟ انك لا تمسق السهول والرهاد  
وانما غرامك بالثلج الصافي الذي يهيم بقمم الجبال فمن صعد  
الى الثلج قريبا من السماء ولم يتجمد دمه برودة أو يضل في  
ثلاجات وشعاب الطريق . . أنك في قلب بركان يشور  
ويقذف بصاحبه الي أعلى مع الحديد . . أنك تبحث عن  
ضوء بعيد . نجم وسط الظلام فاعلم أنك الى النجم لا تصعد  
أبدًا وانما تحققت أملك علي الأرض في كهوف جبال  
الأزهار والنار حيث تجد نجما فوق الجبل ينام علي قرص من  
الظلام ، تحته جمجمة وميزان في كهوف جبال الأزهار  
والنار حيث تجد الزهر الجميل السام ، حيث يجد البيضاء الفصيح  
الذي لا يفقه شيئًا ، هناك حيث تكون الحياة موتا والموت  
حياة تجد الماس في الحجر فاستخرجه ، افتح الحجر برفق  
يتدفق عليك البريق الذي يعنى عينيك الضاحكتين بالأمل )  
وتتم الساحر وطويت الصحف وجفت الأقلام وكتب  
القدر في حياة البشر فلا راد لما كتب . لكن الأمير استهواه  
أن يعرف كهوف جبال الزهر والنار وتذكر أحلامه  
فعرف أن الزهر والنار هما المادة التي يكتب منها اسم (مات) .

وكم تعجب حينما نطق الساحر بما نطقت به (آت) في أحد أحلامه وبدا الأمر عجيباً ورأى أنه من الأعجب أن يضرب بهذه الأفكار المتتوية وهذه الأحلام الغامضة عن من الأفق أو أن يمتقد أن السحر نوع من الخرافة والتماقة في السحر بعض الحقيقة لأن الحقيقة يراها أكثر من فرد وهو بعقله قد أدرك الوصف في الأحلام ذلك الوصف الذي عبر عنه الساحر حرفاً بحرف فالساحر جال في وادي أحلامه ووادي أحلامه موجود في كتاب الغيب . فهم بأن ينادي الساحر لكن (ايا) منعه قائلاً — أنك أعذقت عليه العطاء وقد بذل غاية جهده فلا يمكنه أن يقول أكثر مما قال وهو لا يعرف غير ما قال . كان لا بد أن يمر وقت طويل حتى يشرب الشراب المسحور أو خمر الحق كما سماها فيما بعد وحتى يستطيع أن يعرف أسرار جبل الأزهار والنار ، فبذل (ايا) جهده في أن يملأ وقت الأمير سمراً ولهراً ، وقد نجحت الحيلة فاستعاض الأمير باللهو عن الحق ، والحق في اللهو أيضاً ، ولا شك أن هذا الوقت الذي يلهو فيه يجرد في نفسه سروراً والنفس ميزان الأشياء في اللهو بعض الحق .

وخرج الأمير للعبيد وقد سرت في الجوى نسائم  
الأصيل ، كأنها شفوف رفاف من أجنحة الملائكة . . . ولمح  
الفتيات يملأن الأواني من النبع وكن يغنين لحنا ، ولمح العبيد  
حاملي محفات المترفات من نساء المدينة وقد غطين وجوههن  
ببراقع سبع ومع ذلك بان في عيونهن الذهب وقد موهت  
جفونهن أطراف ذهبيّة ينادين باللحظ الفتاك صرعي  
الأقواس الذهبيّة التي تقذفها أناسى صغيرة سكنت بين العقل  
والقلب . . . بين الجبيّة والصدر . وهبت النشوة منداعة في  
صدر الأمير ، وررفت حول جواده الأحلام وهو يسير  
إلى الغاب المجهول . وعند مفترق طريقي الغابة والجبل . . .  
ذهب إلى المكان الأعلى لأنه طموح ؟ وهناك بعيدا عن  
ضوضاء المدينة إلى جوار معبد خرب سمع أصواتا موسيقية ،  
موسيقى عجيبة ولحن عبقرى ، موسيقى حاملة كأنها رقص  
الملائكة في النعيم او ذكرى الله في قلوب المؤمنين ، موسيقى  
حزينة كأنها نهر من الدموع تغتسل فيه الآئمة ، وينفض فيه  
العبد غبار الاستعباد .

اقتراب من مصدر الصوت فرأى زهرة جميلة ولكنها

سامة . والبيضاء تصبح ولا تفقه شيئاً ، أُنْفِي الزهرة نابتة من  
قبور الموتى . وهكذا صار الموت حياة ، ولكن الزهرة  
لا تحس ولا تتكلم إليه ، وهكذا صارت الحياة موتاً ! هنا  
الحق ؛ ولكن الحق لم يتضح بعد . وأصبح أمام كهف  
قديم ، واللحن عجيب عبقرى خافت حزين . . أُنْفِي على قمة  
الجليل نجماً غطاه قرص من السحاب . . ان النجوم نور الحق !  
وأُنْفِي على الأرض جمجمة . مكان العقل ! وإلي جوارها وجد  
ميزاناً رمز العدل ( مآت ) روح الحق والعقل والعدل . . .  
وأمام الكهف سمع اللحن العجيب ( لحن الحق )  
والشعابين الهائلة قد أتت من الجبل لتراقص أمام اللحن  
العجيب . . . لقد زحفت من كل مكان . . . من المعبد ومن  
جب قديم تحت أطلال المعبد . من القبور ومن قلب الزهور .  
التفت الشعابين حول صوت الحق وتأمل الأمير النجوم  
كأنها ترتل أناشيد السماء على مزامير الخلود

... دخل الأمير الكهف . . . إلى الظلام فلم ير شيئاً  
لأنه كان في النور ! . لكن سرعان ما رأى خارج الكهف  
الأشباح . . رأى الدنيا القائمة في الخارج كحلم مبهم غامض

ورأى في داخل الكهف ضوءاً باهراً أخذاً يلمع كالبرق . .  
لقد وجد الماس في الحجر ! . . صدقت نبوءة العراف . . .  
ويجب أن يثق بكلامه على طول الخط . ورأى الأمير داخل  
الكهف جنات وأعناباً ونخيلاً وحوراً وسندياناً بعضها كلون  
الفضة وبعضها كلون الأبنوس ، وقد كسيت الماشى بالمرمر  
الصقيل تفرت من الأرض العيون التي تغتسل فيها الآثامات  
رأى هذا تحت ضوء النجوم ، لكن النجوم حينما لمحت سقطت  
كما تسقط عن أغصانها ثمرات التين وبات في ظلام . وكتب  
بأحرف من الأزهار والنار ( مآت ) ونظر الكهف فوجد  
فيه مخلوقاً عجيباً كأنما مضى عليه في الكهف ملايين السنين ؟  
حاول أن يكلمه فلم يعرف لأنه كان لا يعرف الكلام  
البشري ! حاول أن يراه فوجده أعمى لم ير في حياته بشرياً !  
حاول أن يسمعه صوته فما استطاع لأنه لا يسمع ! ومع ذلك  
فقد كتب في الكهف بالنار والأهوار ( مآت ) . فاقتاده  
الأمير إلى القصر . . . ليعلمه لغة البشر فيخبره أين الحق  
وما هو ؟ ورغم ما اعتري الأمير من الفزع والعجب فإنه  
فرح لأنه كلل مجهوداته بأحسن الثمار . . . ها هو مخلوق

يمكنه أن يعلمه الكلام فيقول الحق المبين . . . يالهدا المخلوق  
العجيب ! انه يعرف الحق ولكنه لا يستطيع أن يقول منه  
شيئاً . . . . . الحق سر الوجود واللاوجود الكاشف عن كل  
شيء يمكن أن يعلم ولكن تعطله الألفاظ . . . الألفاظ  
الأصوات . . اللفظة . . فهل اللفظة جزء من الحق ؟ !

وغضب الأمير في الطريق قائلاً — أف لهذا الحق  
الذي تضيئه ألفاظ البشر ؟ أمن المعقول أن يعرف الحق في  
حياة يكون للسان فيه القدر المهي ؟ وعند ما فاجأ المعلم  
بما رأى سأله الأمير هذا السؤال . . هل اللفظة جزء من الحق ؟  
وعند ما أفاق المعلم من ذهوله بعد ثلاثة أسابيع وكرر  
عليه الأمير السؤال أجاب — يقينا أن اللفظة جزء من الحق .  
السنابني الجدل الطويل لمجرد الألفاظ ، السنابني الحقيقة  
على الألفاظ ؟ فتار الأمير قائلاً . . ياله من حق سخيف ،  
ولكن مالنا ولهذا يجب أن نعتني بهذا المخلوق ونعلمه أى  
لغة يمكن أن تسهل عليه . . . . . لتعرف الحق لأن الحق  
لا يعرف إلا بالألفاظ . وفكر الأمير في شيء آخر . . هو  
أنه عرف مكان الحق مصادفة دون بحوث (ايا) فيما كتب

ذلك الشاعر المجهول . . . . أنه بحث عن الحق في كل مكان  
ولكن الحق جاء مصادفة بلا منطق ولا تمهيد . . . الالتجاء  
المصادفات حيث لا منطق للحوادث ولا النسجام .

وشرب خمر الحق ، وراح ليحظي ( بالنيرفانا ) البشرية جميعا  
لا بتلك التي عند الهنود وحدهم ، ذلك لأن تعليم هذا المسخ  
العارف بالحق يحتاج إلى وقت طويل والأمير متلهف لمعرفة  
الحقيقة . رأى دنيا غريبة لا عهد له بها ولكنه شعر أنه  
ليس منها لأنه كان كالمفرج فأولئك قوم بدوا بين آيات  
الفن الناطقة ، عرف أنهم اليونان ، لا بتلك المماطف  
القصيرة التي كانوا يرتدونها وإنما لأن التماثيل كانت تنطق  
بجمال الحياة نفسها ، ذلك الفن الرائع المنسق الناجح  
لأنه فن الحياة الذي لاءم بين طبيعة الأشياء  
وبين طبيعة الناس فننجح وذاع . . تبين فيهم شيئا مسنأ  
قصير القامة أفتس الأنف بجوب الحمامات والميادين وسمعه  
يقول في الجماهير — أنا أعرف شيئا واحداً وهو أنني  
لا أعرف شيئا ، فصفق تلاميذه وشفق به الناس ولكن

لما بدأ يستخدم طريقة (التوليد) فهم الناس أنه ليس جاهلا  
وإنما هو أكثر الرجال علما كما قالت الكاهنة .. ولكن  
شيطانا تسرب وسط الجموع وقال — عالم يتجاهل أو جاهل  
يتعلم . ورؤيت الأكاديمية وقد جلس أفلاطون يتأمل  
(المثل) ويرسم في الأرض أشكالا هندسية ، وإذ ذاك  
مرت عربة يسوقها عجوز محنك ويجرها جوادان أحدهما  
رشيقة سهل القياد ، وآخر أحمق غليظ ولكنه جذاب ،  
ورؤي كهف فيه رجل مقيد ونظره داخل المغارة التي على  
بابها النار وخارجها الكائنات ، وتسرب الشيطان ومحا بمصاه  
الصحريّة المرية والكهف ! .. وفي جانب من الأكاديمية  
رؤي شيخ لديه ضروب متباينات من الحيوان والنبات  
ويتأمل بين الحين والحين النجوم والأفلاك .  
ورأى الرواقيين يتحدثون في القدر النافذ والذي  
يوجب الكفاح والجد لا الخور والكسل ..

وفي هذه الجموع رؤى رجل بمصباح يبحث هنا وهناك  
عن الحق ! . وابتعد قليلا ولم يشأ أن يأخذ دليلا يستعين به  
في الحي اليوناني . وإكته وجد رجلا مضطجعا في تراخ

يتسلى بأغانٍ لا معنى لها فسأله — بعد تحياتي يا أخي أرجو  
أن تخبرني في أي مكان أنا . .

فلم يجب وسأله مرة ثانية أما تجيب سؤالتي؟ فهل لك  
أن ترشدني الطريق؟

فلم يجب، وقال — انك صامتة والصمت حكمة فهل  
من الحكمة أن ترد أخاك الإنسان خائباً . .

وهنا تكلم الرجل في بطاء وسكون — لا تزعجني يا رجل  
وهنا اغتاض الأمير وسأله — إني أرى هنا مكاناً عجيباً

يخوي قادة الفكر فهل لك أن تخبرني من أي الفرق أنت؟  
— ماذا يهمني إن كان المكان عجيباً أو غير عجيب؟

وماذا يهمني إن كان به قادة الفكر أو حثالة الدهماء؟ بل ماذا  
يهمني أن أعرف من أنا؟ أنا رجل — أو هكذا سميت —

أصمت وأرى العالم وأعيش فيه ولا يهمني أحد، وما يحلوا لي  
أفعاله حتى لو حلوا لي أن أصبحك إلى حيث شئت لفعالت

واكن ذلك لا يحلوا لي لأن هؤلاء الذين تراهم حكماء  
لا أحبهم فأنا حكمتي أداً حكمة لي وأحياناً غير مهيد بمذهب

مجنون، ولا يتمانون من وضع رجل شاذ، لماذا أعرف من

هم ؟ .. هل عرفت نفسي أنا ؟ .. إني سعيد بنفسي لأنها تأتي  
كل يوم بجديد أتسلى وأهوى به ، إن الحياة حرة فلماذا أتقيد  
بشيء ؟ إني سعيد وإن لنفسي قيمة كبيرة لأنها لا تعرف  
قيمة في الحياة ، قد كنت ملكاً طموحاً وقلبا يفيض  
بالأحاسيس ، ونفساً قد طبعت بمثل أفلاطون وأشربت  
بتصوف الهنود ، وقد انقلب طموحي كبرياء ، وأصبح إيماني  
شكاً أمام عقلي الذي لم أحسن رياضته والذي اندفع ناراً  
بذلك الساحر الذي يسمي شكاً وذلك الجبل الذي يسمي  
كبرياء ، لقد كنت أفتح البلاد وأحسب أن سعادتي في فتح  
البلدان وغزو الملوك قبوَّت بالخسران المين وبداءي مجد  
الأرض كنفقاعة من الصابون تتطاير أمام الساحر وأمام  
الجبل ولقد أحييت نسوة عدة وهبت الأولى كل مثل  
وإيماني وكانت تحبني فلم ترض إلا أن يدخل الحب الجسدي  
في المثل والإيمان ، وأحييت في الثانية جسماً فلم تهني نفسها  
إلا بعد أن أحييتها بمثلي وإيماني ، ورأيت في الثالثة  
ما يكرهني فيها فاشتيت ما أكره لأن كبريائي كانت تحتم  
عليّ أن أظأكل شيء بنعالي ... ولقد همت بالفلسفة التي

تري أصحابها هنا وهناك — فما خرجت إلا بفكرة واحدة هي : أن الفلسفة نظرات العقل للطبيعة كنظرات الشاعر لها وان امتازت الأولي بما يسمي المنطق فنطق الثانية غير منظور ولا يعقل أن ليس لها منطق .. ان هذه الفلسفة هي أفكار وأحلام لعقول شاذة فهل أسلم نفسي لأصحاب الأحلام الشاذة؟ ان الفلسفة ليست إلا وجهات نظر بعض الشواذ من الناس فلا تؤدي إلي الحق بحال من الأحوال .. لهذا لم أجدها محققة لطموحي وانما وجدتها هادمة له وازدادت شكوكي والتهبت نفسي بها ، وحاولت أن أعرف ما لم يجب فبؤت بالخسران المبين ونمت أبحث عن الحق في كل مكان واستممت لخرافات البشر ، ولكنني فكرت أن كل ما وصلت إليه قد تهدم لأني شكاك فأى حقيقة سوف أصل إليها ولو كانت سر الوجود الذي لا سر بعده فان لمُتُب شكى سوف تمتد إليها وقدم كبريائي سوف تطأها ولو عرفت أقدم الأشياء لما كانت تجد من شكى وغرورى غير ما تجد أقل الأشياء ، فعرفت أن الله عظيم ما لم يعرف ولهذا لا يجب أن يعرف . والايان به وبوجوده خير من الهيام فيما

لم تخصص له حياة البشر . . .

افعل ما شئت يا سيد بحيث يكون ما تفعله بقدر طاقتك  
تزي نفسك ناجحاً ، وفي حياة موفورة . ولا تسل هزلاً  
الفلاسفة المناكيد عن الخير والشر فما هي إلا فكرة أدلي  
فيها كل بدلوه ولكن اسمع كلامي وافعل ما شئت بحيث  
يكون ما تفعله في قدرتك تكن سعيداً . وأنا اليوم أفعل  
ما أشاء لأحب أن أعرف شيئاً غير نفسي . ولا أقيم وزناً  
إلا لها وأؤمن بالله ولا أتعب نفسي في محاولة البرهنة على  
وجوده . وقد سرتني أن أحادثك هذا الوقت ومن الآن  
أنا لا أستطيع الحديث معك لأنني قد تعبت فابتعد عني .  
وأفاق الأمير ليلح عليه في الكلام فما أجاب ، سأله  
عدة مرات ورجاه واستمطفه فلم يظهر بطائل وهنا قام الرجل  
قليلاً من ضرقده الأرض وتكلم في بطة وتؤده — يا أيها  
الغبي . ألم أقل إن الشيء الذي تعرفه تقتله . وأنت تريد  
أن تعرف كل شيء مني لتقتلني فلا أصبح صاحب أي قدر  
أمامك . . اني أريد أن أكون عظيماً بأن أحتفظ ببعض  
أفكاري . ووقد على الأرض تحت الشجرة بعد أن مد يده

وأخذ ثمرة منها ووضع ساقا على ساق وقذف بالبذرة في وجه الأمير ! وكان الأمير غريبا في المكان ولكنه لم يتعود الإهانة وهو الذي أمضى العمر فوق هامات الشعوب فجاس لينكر في الانتقام . وصمت قليلا فحسب الرجل السكوت ضعفا فلم يرض لهذا المخلوق بالغضب فقال . هدىء حدة غضبك وسأعوضك عن سبابي بأن أعرفك أسرار المكان لعل في نفس الانسان بعض الخير . . . فما كان يصدق ذلك الأمير حتي سأله في أي مكان نحن ؟

— هب أني في الجحيم فاني أحس أني لاغبار على وحسي هذا . هذه الأسئلة من آثار العقل الذي يريد ان يعرف كل شيء والذي سيظل في محاولته مدي الحياة أي ان أحلام الشواذ سوف تسيطر على عدد كبير من الناس فيحسبون ان الحق في تلك الأحلام وكل يوم جديد يحمل إلي الفكر حاملا جديدا فهم لن يصلوا إلي حق مطلقا . لأن الوصول الي شيء كما أخبرتك هدم لهذا الشيء : فالفلسفة تعلم البحث وتبعث على الشك . وهي تهدم نفسها إذ يدفعنا شكها إلى البحث المستمر . أي أن الفلسفة تحاول في بحثها

ان تعرفنا قيمتها وهي في هذه المعرفة تهدم نفسها . ان طريق الشك هو طريق شائك ملتهب كله خطر ووعورة . وبعد ما الذي أتى بك اليوم الي هنا ؟ أنت يا من قلت له من علمي أكثر من الواجب فأزلت عنى حجب الأسرار . وقيمة كنت تقدرها أكثر مما تفعل الآن . لأن عظمة الشيء تكون بمقدار ما يكون عنا غامضاً كما أفهمتك — اذهب إلى الحي الصيني تجد لاهوتسيه ينشر حكمه التي منها — ان أسرار الدولة إذ تذاع على الناس تصبح الدولة كما لو كانت سمكا خرج من الماء — فأسرار الدولة هي أسرار الكون التي يجب ان تظل مصنونة عن البشر والا فقد هدم النظام فلا يجب البحث فيه لأن في الحياة مشاغل غير هذا البحث . يا أخي ان الحياة بنت المادة وبنت الجسد فاملاً منها فراغك وانتشى . واسمع بوذا الذي يشع من عينيه نور تجده يقول انى أعلم طريق الخلاص فحسب أما الشؤون الأخرى مثل أبدية العالم فلا علم لي بها ولا أحب ان أجادل فيها . واني لا أعرف غير هذه الحياة فأنا أحيائها ولا أهتم بغيرها ولا أفكر الا في نفسى وأؤمن بقوة تشرف على الكون

وأفعل ما أحب مادام ذلك في قدرتي . . . هذه قدرتي أيها الضال عن المكان ولو ذهبت معك إلى تلك الأحياء لما قلت لك أكثر مما قلت ، ولكنني أرى ألا تذهب لأن الأحياء الشرقية فتانة الروح حاملة يستحسن أن يحلم بها المرء خير من ان يراها فان رؤيتها تضيع سحر أحلامها . . .

الوداع يا أخي اذهب واستمتع بحياتك ولا تهيم بغير أسباب الحياة التي أعدتها لك . . لا تحاول مخالفة الطبيعة لأنك ذرة في كون هائل . . لأنك أنت ذرة تسير برغبة الطبيعة . . ولكن أفي مالنا ولهذا أغرب عن وجهي وأحيا فقط ولا تحلم بغير ماتراه في الحياة

ونام الرجل هادئاً بعد هذه المقالة الطويلة وقطف ثمرتين ووضع ساقاً على ساق وأكل الثمرتين وكاد يقذف بهما الأمير لكن هذا قد فهم الجملة وفر هارباً ضاحكاً . وذهب إلى ركن بعيد ونام من عناء الرحيل على أن المكان كان غريباً شبيهاً بالمقابر فسمع صوتاً يقول — ما هذا الدلال أيتها المرأة أعطيني قبلة لقد عشت بين أحضان الكتب محروماً من لذة الحياة فهاتي قبلي المشتهاه أيتها الغالية ، ولكنني

مازلت ميتاً فيا أسفي اوسمع صوتاً آخر — لقد أردت ان  
أعيش سعيداً في حياتي وكان ينقصني المال فبات المال أيها  
الغني هاته لأستمع به . ولكني مازلت ميتاً فيا أسفي !  
وسمع صوتاً آخر — لقد عشت حياة الناس وأخذت  
على الحياة مالا وزوجاً وكان ينقصني النسل فتمالوا أيها  
الأطفال إلى الاستمتع بكم ولكني أحس الأغلال تمنني  
أنني لازلت ميتاً . وهناك صوت رابع يقول أما انا فقد  
عشت سعيداً ووفقت بين قواي العقلية والعاطفية والجسمية  
فضدت كلاً منها بما يليق به ، فدرست العلوم والفلسفات  
كرياضة عقلية فحسب وأجبت فتاة ولم أرتفع بهذا الحب  
عن الحياة فزوجتها وكانت زوجي مثل كريمة في جوانب  
بيتي وأنجبت لي أطفالاً كانوا مثل غرس الزيتون حول  
مائدتي وعشت سعيداً وعملت وأمنت بالقوة العظمى  
فنجحت لأن الإيمان سر النجاح فأنا لا أريد اليوم شيئاً ،  
اني عشت فسيار عندي أعيش ثانية أم أفني لأنني كنت  
سعيداً . . . فعند ما تيشون أيها الاخوان اقبلوا كما كنت  
افعل فليتنى استزدت من هنائي .

وكان الأمير قد تمسب وفهم أشياء كثيرة فتمال لنفسه حقيقة الحياة تكون في التوفيق بين القوي الحية من عقلية وعاطفية وجسمية ، ولا نحاول في كبرياء ان نشك في كل شيء لنهدم بهذا الشك أقدم القيم اللازمة للإنسان وهي الايمان بالروح وبنور أقدم تفيض عنه كل روح ، ابي أو من بالله ولذا فلن أبحث عن حقيقته ، سبحانه ، وان كان آه لو رجعت الي الحياة وكنت أكدح وأكسب وزوجتي في يدي مثل كرمة تكتف جنباته بالظلال أفء اليها ، وأولادي حولي كغرس الزيتون حول المائدة أمتع بهم ناظري ، طوبى لي لو رجعت ولكني لاشك ميت مثل هؤلاء فياحسرتا على حياتي التي هدمها الشك وسيطرت عليها كبرياء العقل .

ليتني لم أمت سريعا هكذا فتصبح حياتي تافهة لأنني لا أريد أن أبحث عن الحق . . . ليتني أستطيع أن أنصح البشر ذوى العقول المريضة المنكرة بهذه العقيدة الجديدة التي أراها . . . . لكنني ميت فيأأسنى ا

( ٣ )

عند ما صبحنا الأُمير وأفاق من فعل ذلك الشراب  
المسحور وجد المكان مظلمًا وإلى جواره المعلم (ايا) فسأله —  
أين أنا؟ أما زلت ميتًا؟ أمت أنت الآخر يا أستاذ؟  
— كلا ياسيدي ولكنك شربت الشراب المسحور  
قبل أن تقوم بالعبادات وعلى ذلك فروءياك غير صحيحة ،  
واللهم الآن أن أخبرك أن الملكة (أوشاس) استردت  
ملكها بمأونة كبير قوادك الذي عشقها وتآمر عليك  
والقياك هنا ربما تفيق فيتصرفان في شأنك ..  
— مهلا يا أستاذ أولا دعني أطمئن إني ما زلت حيًا —  
بالفرحة إذن فأنا لم أمت ، بعد هذا تأكد أنه لا شيء  
يستحق مني الاهتمام ، يكفيني بعض الكتب الرياضية العقلية  
ويكفيني امرأة طيبة تنجب لي أطفالا ، وإني سأؤكد  
وأثرب لأنني أحبهم وأؤمن بالله ولا أهتم بالبحث عنه لأن  
غاية ما أصل إليه هو من نتاج عقلي أنا وهو غير قدرة الله .  
— لقد ضاع ملكك ... وعشقت أسيرتك كبير

قوادك . . . ويدبران مكيدة لإبعادك .

— وماذا تظن الناس يا أخي؟ أليست لهذه الدولة أمور يجب أن تساس وأنا كنت مشغولا عنها بالبحث عما لا يجدي، أليست لهذه المرأة (أوشاس) قلب وجسم تريد أن تبعث إليهما بالحياة في ظل الرجل القوي بعد أن تركتها. هذه سنة الحياة فمن يزرع حبة الحنطة يجني حبات ومن لا يزرع يحرم كل شيء وشتان بين الأمرين .

\* \* \* \*

وإذ ذلك سمعا ضجة أتت بعدها السجان وفتح الباب وقيدها بالأغلال وصعد بهما درجات بعضها فوق بعض في أزقة مظلمة حتي شعر بعد قليل أنهما في القصر المنيف، في قاعة العرش جلست (أوشاس) على عرش الملك كما استولت على عروش القلوب وهنا تساءل عن مصير الدولة التي يحكمها الجمل؟ كان أسيرها وكانت بعيدة عنه فأحس بالحرمان، وكانت عظيمة الجمل رائعة أكثر من أي وقت مضى كتلك الأسرار التي كان يظنها الحق، لقد باتت صنما يفيض من ألوهية الجمل، وجلال الملك نورا مقدسا، وبدت فتاة،

أول ما بدا له قدماها في نعل حريري كأنهما طبقا فضة قد  
رصعا بحجرين كعيني امرأة ميتة ، وبدا ثوبها كثوب القمر  
يفيض بنفسجاً رضع بقطرات من طل السماء ، وكان ذراعها  
عاريين كذراعي إلهة القمر ، كانا حيتين من معبودات  
المصريين وقد استحال لونهما في لون العاج ولكن فيها سم  
قتال ، فويح لمن التفتا حوله ! ولكن ما أشهاهما ! وقد كانت  
بيدها أسورة في نون النيد فيها زبرجدتان إحداهما كعين  
التمر وأخرى كعين الحمامة ! ووجهها تلوح فيه الألوهية  
والشيطانية ، وجه جنية إلهية ، فيه تلك العينان . . تلك المرأة  
العجيبة التي يرى فيها كل من اقترب منها نفسه ثم لا يلبث  
أن يرى غيره . . . امرأة بابلية ساحرة .

وبدأ حجر كبير من الماس يشرف على شعرها العاطر  
كما ينبطح البدر على صدر حدائق أفروديت إلهة الصباية .  
يا للمرأة ، كيف تغابي عنها ؟ إنها غدت بعيدة لأنها  
غدرت وهو أشد ما يكون هيأما بجمالها وأشد ما يكون  
غيظا من سلوكها ، وفتح فيها ، كعقد من حبات رمان  
النميم ، أو عود مرجان تلوح به إلهة لا ترى ! وأعلنت أنه

متهم بالاحاد فقد جحد بألمة البلاد . كما أنه متهم باهمال  
شئون حكم البلاد والتلبي عنها بالسحر والشعوذة ثم  
استخرطت في حديثها فقالت .

— ان هذا الحاكم لعريب ، فقد اراد البحث عن الحق  
والوصول إلى مكان الآلهة فسوّل له هذا الساحر الطيب  
أنه في مكان يدعى ( مآت ) وهاما في كل واد من أودية  
الضلال التي لا تستحق من المرء غير السخرية والعبث . وأتيا  
إلى القصور الملكية برجل كأنه كتلة من العظم كسيت  
بشعر اغبر أشعث وأخذا يعامانه اللغمة . أنظروا أيها القواد  
والحكام إلى ما فعل من قلاتموه السلطة . أنظروا تلك العظمة  
المشعرة التي ربما عثرا عليها في شعاب غاب الهنود عابدي  
الصمت والزهد . أنظروا واختبروا الأمر بعين الحكمة  
فان نطق هذا المخلوق حرفاً واحداً ليدلنا على حكمة أو ليلقي  
علينا عظة أو أي كلام يعقل فلعل الأمير على صواب وإلا  
فهو مدين .

وهنا قطب الأمير حاجب وجهه وفكر أنه كشف عن  
كل شيء أرادته فكان الشيء بعد أن عرف أقل منه قبل

أن يعرف . يجب أن يتيقن سر الحقيقة . إن أسرار دولة  
 الله يجب ان تظل بعيدة عن البشر وإلا باتت الدولة كسملك  
 خرج من الماء كما قال لاهوتسيه . وسادت لحظة صمت رهيبه  
 قطعها الأمير بصياحه بعد أن خاف أن يعرف ما لا يجب ،  
 وأرد أن يعيش بالايان لا بالمعرفة ، بالخوف لا بالشك ،  
 بالحب لا بالكبرياء ، أراد أن يشعر فيما بقي له من العمر انه  
 يمجد شيئاً ، ويقدم سراً ، ينزع له في الأوقات العصيبة  
 والأزمات التي تلم يدي الانسان ، أراد أن يعبد شيئاً بعد  
 أن أحس بضعفه وان معرفة العقل تستوجب الكبرياء  
 والكبرياء يستوجب الشك ، والشك نار تأكل بعضها  
 ان لم تجد ما تأكله ، أو ساحر يسحر كل ما يصل إليه حتي  
 يعود فيسحر نفسه . ولا يبقى شيئاً علي حقيقته . وهنا  
 تذكر ذلك الرجل الذي قابله في مدينة الفلاسفة وقوله ،  
 إنى هدمت كل شيء ، لأنني عرفت كل شيء ، واليوم انى  
 سعيد لأنني أفعل ما أريد مادام في استطاعتي أن أفعله ، انى  
 لا أتدخل في شيء لا يعنيني . ماذا يعنيني ان كنت في الجحيم  
 مادمت أحس أنه لا غبار علي ؟ وهكذا أراد الأمير أن يبقى

على تلك الناحية المقدسة من الحياة فلا يحاول معرفتها مطلقاً .  
حاول أن يعيش في الحياة المتحركة . أن يحرك عقله ببعض  
الآراء . وان يقدر شيئاً فيملاءه شعوراً . وان يتزوج وأن  
ينسل وأن يعمل ليقوم بواجبات البدن . انه كان ميتاً فحمد  
الله على متعة الحياة معها كان تمنها . عزم أن يشتري من الحياة  
هذا التوفيق المدهش بين قوى الانسان من عقل ، وشعور ،  
وبدن بهذا التطرف في الغني والجاه والملك ، وأنكر أن  
الذين يحيون متطرفين في أي ناحية من نواحي النشاط  
الكامن في الانسان يضلون ولا يعرفون حقيقة الحياة ، كما  
كان هو في بحثه عن الحق ، وتطرف في حبه المجد والغزو ،  
وحبه المرأة والجمال ، أراد أن يعيش ليستمع بالحياة الحققة  
التي تجمع قوى الحياة للسمو بها . . . تذكر كل هذا فصاح .

— أيتها الملكة — إني أتهم نفسي وأخضع لسكل  
عقاب . ولكنني أستحلفك بالهتك والحق المقدس ألا تدعي  
هذا المخلوق يفوه بحرف واحد أنا كافر بالآلهة مقصر في  
حقوق الدولة . ولكن لا تدعي هذا المخلوق يفوه بحرف  
واحد ا

في المرأة شيطان عنيد يسيطر عليها عند ما تمك موقفاً  
تضرب فيه حبيباً بحبها غدر وبمشقها كفر ، فصاحت —  
ان الحاحك ورجاءك في أن نسكته سوف لا يفيدان شيئاً  
بل أن لهما في نفس مفعولاً مضاداً ، انطقوا هذا الشيخ  
إن كان يعرف للكلام سبيلاً اضربوه بالسياط ، سلطوا عليه  
آلات التعذيب حتى ينطق .

ذهل الأمير وكاد يفات من أغلاله لاتخاذ الخلق  
الذي يعرف الحق ، ولكن الخبر اس الصناديد المساعير  
أوقفوه ساكناً لا حراك به ، وأراد أن يرفع يديه ليضع  
أصابه في أذنيه حتى لا يسمع الحق الذي طالما طمع عقله  
لمعرفته وطمحت اليه نفسه ، هذا الحق الذي من أجله كافح  
وناضل وتلقى في صدره السهام ، وفي جيبته الطعام ، وفي  
بطنه السموم . هذا الحق الذي من أجله كفر وألحد لأنه  
لم يوقف عقله عند حد الفكر بل تعداه إلى الشك وإلى  
الكبرياء . هذا الحق الذي من أجله آمن بالخرافات والسحر  
وخضع للشعوذة فاستحق من المرأة السخرية والهزؤ . هذا  
هو الحق ينادى بصوته فاسمع أسرار الكون التي تعمي

بصيرتك أيها الأمير لأنك فان ولأنك ذرة في كون  
عظيم ، هذا هو صوت الحق الذي سوف يصيب سمعك  
بالصمم لأنك لم تخلق لتسمع غير أصوات الناس  
والحيوانات ، واغرورقت عيننا الأمير بالدموع ، هذه  
النكبة الفاجعة الذي لم يخلصه منها عرض من أعراض الحياة  
ومنها ملكه فملكه في مثل دخان قد تبدد ، وإذ ذلك تذكر  
أن الله عظيم وأنه أكبر من أن يعرف ، وأعظم من أن  
يحيط به عقل أبناء الفناء ، ولم يعد يسمع شيئاً ولا يرى في  
قاعة الملك وعرش الجمال شيئاً ، وإنما رأي نفسه وقد كاد  
العطش أن يودي به ، وعلى بعد منه رأي حورية هيفاء  
نهر من ثديها زلال يثلج الصدور وقد تساقط على أرض  
مصرية في إيقاع راقص رتيب ، فنهل وارتوى ، وأحس  
بالجوع فرأي حوريات من اللبن يهرسن الكروم في أوان  
ذهبية ، ورأي شجرات التين ينادينه ليقتطف تيناً بكراً ،  
وكما قطف تينة نبت مكانها تينات يتألقن كالنجوم ،  
ورأي غر فاسداسية قد غطيت بحرير أصفر ، فيها ملائكة  
باهرة أجنحتها من شفوف ذهبي قد رصمت بكريم الأحجار ،

وقدموا له عسلاً شيئاً ففهم أن هذه خلية نحمل في النوم ،  
ودخل غرفة ثلاثية كلها أعمدة شاهقة متلاصقة لا تدع  
للنور سبيلاً وراح يتعبد ويحمد الله في خشوع فألقى  
الأعمدة قديسين واقفين وقد أرسلت قلوبهم أشعة نورانية ،  
وهنا أراد أن يبكي فلم يستطع لأن صوت القلب وحده  
كان كافياً لأن يرتفع إلى رب الجنات ، هنا أحس بالأنوار  
تحقق ، وبكى القديسون فمالت دموعهم المكان فأضحى  
نهرًا اغتسل فيه وتطهر وتوجته الأنوار كالنجوم ، ولكنه  
مالبت أن رأى جسمه وقد ذاب في نهر الدموع وبقي قلبه  
ينبض وإذا ذلك هبط من السماء سنا يخب الأَبصار ،  
وجذبتة أشعة السماء فارتفع قلبه إليها وكان كلما ارتفع صغر  
حجمه الجسمي المظلم حتى فني عند باب السماء ، ولكنه أحس  
بالأنوار التي لم يعد يعرف كيف يصفها ، ثم أحس أنه صار  
نجمًا يشرق بنور الحب ويفيض بالألاء الايمان .

وأفاق ليجد إلى جواره المسلم (أيا) في مكان قصي

فسأله — أين نحن ؟

— في مكان قبيح وغداً نذهب إلى المنفى الذي

حكمت به علينا الملكة أوشاس .

— آه يا لعذاب الدنيا واكن أين صاحب الحق ؟

— لقد عذبتة أوشاس فلم ينطق بحرف فصلبته عند

عند الكهف الذي فيه وجدته .

— هيا لئراه ...

— هيا فهو من هنا لقريب .

وذهبا ووجدها يقطر دما ونفسه تفيض عذابا ،

وكانت الموسيقى الخفية تشد لحمها الحزين ، والأفاعي

ترقص رقصها ، وأفاض اللحن الأسي والشجون ، ما أظلم

هذه الدنيا للحق ، ان صوت الحق لا يطرب غير الأفاعي

في هذه الحياة ! وعندما أراد المصلوب أن ينطق كلمة اختفي

واختفت الموسيقى ، ولم تحتف الأفاعي ، وذهب الأمير

إلى داخل الكهف حيث وجد صاحب الحق لأول مرة

فوجد الأفاعي غضبا وكادت تلذعه لولا أن ولي الهرب إلى

حيث لم يجد الحق ، أحس الأمير أن ملكه في مثل الدخان

قد تبدد ، وندم لضياغ الملك والجمال فتذكر الجنات التي

رآها فاحتلت الدموع عينيه ، ولما قص على المعلم قصته

ضحك قائلاً — إنها أضغاث أحلام ، إنها من صنع مخيلتك .

— أيها الشاك هب أنها كذلك فما أسعدني أن أجد قوة الجأ إليها إبان مخي ، حقاً إن الحق في القلب لأن الله الففور الرحيم يسكن القلوب ، حقا ان الحكمة أسهل من أن يهيم في سبيلها لأنها في قلوبنا . واننا نستطيع أن نساعد ونشقي . نو أني أستطيع أن أقف على هامات وديان السنين لأعظ الناس بالحق حتي لا يضلوا ضلالى ويقعوا في المحذور . طوبى لمن ضل ورجع مستغفراً . وويل للمتكبر الشكاك .

\* \* \* \*

وفي الصباح تغم الأمير وركع وسجد وقد اغرورقت عيناه بالدموع فتعجب المعلم من أمره لأنه عرف أنه يبكي لهذا الايمان الجديد لا لأن اليوم يوم منقاه . ولكن تأثر بحالة الخشوع التي اعترته وتطلع إلى السماء وقال يجب أن أومن أيضا ، أن أخضع نفسي بأن هناك قوة تعيث الملهوف وتبعث للضعيف الصحة والعافية ، قادرة على أن تمسك بيوت التين وتقود النور ... فان في هذا الايمان

نهاية للشك والشقاء . إن الإيمان يخلق الراحة ويدفع إلى  
الأحلام فنزداد به إيماناً ! وكان الموكب الملاكى يمر إذ ذاك  
في رحلة الصيد فاخْتَبأ وراء صخرة ، ورأيا الأميرة فتانته ،  
كجنية ، جميلة كملك ، كان حسنها مستبداً أسراً فندم  
أن فرط في هذه الدنيا الناعمة وفي ملكه ، لكنه تذكر  
الجنات في السماء فتبددت حسراته كحدآت تتفرق ! بدت  
الأميرة فتانته تطبع رمال الصحراء على ظلها الطويل النام  
ألف قبلة ! وإلى جوارها سار قائده الخائن يستمتع بالحُب  
والجمال ، وخلفها جياذ الحرس والحاشية مطهمة وعربات  
تحمّل بمض المتاع وتتن في سيرها ! وبدا الركب بهيماً  
في الأفق وخلفه سخابة من تراب الأرض كستار يسدل على  
هذا الجمال الحى الثتان ! واقتادها الحراس إلى زورق صغير  
كان قد ربطه في الشاطئ الرملى وطبعت أقدام الأمير على  
الرمل قبلة وداع لحياة المجد والكبرياء ! ونزلا في الزورق  
المتمايل الحزين ، لكن الأمير تخيله أملاً في ظلمات هذا  
البحر الخضم ، وسار الزورق تاركاً وراءه موجات خافتة  
كأنها ماض هامس بما كان ! وبدت الدنيا في الماء تحت

أشعة الله كنهر من ذهب ، ورأى المليك سجاية أشبه  
ماتكون بين ماء في السماء وحوها أنوار الشمس كالأشعة  
تناديه إلى الأمام . فسار بقلب خفاق بالأمل الواسع  
في السماء ، ولكن الأمير تذكر أن له طفلا لم يدر مصيره  
فيكي لأول مرة لأنه فقد شيئاً في الحياة جديراً بأن يبكي  
عليه . ولكنه تذكر السماء فلم يمد يديكي . وكأنما سمع  
في الأفق ألحان موسيقى السماء . وقابلته جزر الحوريات  
في أحضان اليم . وعاش . . .

( اطوبى لكل من يتقي الرب ويسلك طريقه ، لأنك  
تأكل تمب يديك طوباك وخير لك ، امرأتك مثل  
كرمة مثمرة في جوانب بيتك . بنوك مثل غرس الزيتون  
حول مائدتك . هكذا يبارك الرب الرجل المتقي )

## سشن البحارة بين الأرض والسماء

سشن يالها من امرأة جميلة الجسد والروح مما جذبت إليها الأنظار وتلألأ نجمها في منف حتى بهر الناس فشكوا في إنسانيتها وراحوا ينسجون حولها من الخيال أساطير فتناولها زعمهم منذ كانت طفلة في ضمير الغيب . فقالوا ان الآلهة جميعاً قد تعاونوا في خلقها ونفث فيها كل منهم أجمل تفحاته . ففي وقت تأمل وصفاء أنزلتها السماء روحاً في قطرة ماء بحديقة كبير كهنة منف وكاتب الكتاب المقدس ، وأوصتها بها خيراً فاذا ما ضمتها الأرض في حنان همست في أذن أوزوريس و ( حاني ) حتى أخرجها من بطن الأرض زهرة تفتحت على أشعة رب الضياء رع و قبلات إله الهواء ( شو ) ذي الشفتين المرتمشين . وأبي ( تفنوت ) الا أن يتوجها بقطرات متلألئة من نداءه . أنبتت ( سشن ) إلى جوار مستنقع هاديء الصدر صافي الماء في حديقة الكاهن الى جوار معبد بتاح العظيم .. كانت زهرات اللوتس تطل

ضاحكة كل صباح فتبدو بيضاء أو متأملة حاملة فتبدو ذات  
لون بنفسجي هاديء .. كأنها تقول ليباركني بتاح العظيم  
لا لجمال ولكن لطهارتي ونقايتي ... وأشجار الزيتون  
ترحب بالزهرة الجديدة قائلة : — هذه أرض بتاح الذي  
يرسل أشعته الي قلوب الفنازين كما ترسل الشمس أشعتها  
النقية إلى قلبك ... حافظي على طهارتك دائماً هذه وصية  
الآلهة لسكان حدائقها ، أما أشجار الكرم فتكثت على  
عصيبها كأنها حيزبون أقعدتها العمر ووهبها ( سيدشات )  
يعض حكمته وترحب بالضييفة قائلة لإحدري غضب الآلهة  
فان بطشها لهائل بن جحد حقها ... الحدائق مكان العبادة  
فاذا لوئتنا الأوحال لم نعد قادرين على العيش في وادي الآلهة  
السعيد ، وتهب عاصفة خفيفة تقطع بعض الزهور وتضطرب  
التماسيح في المنقع وتدب الحيوانات المفترسة والطيور  
الجارحة والحشرات الفاتكة . ان سكمت تلتقى عليهم درسا .  
وتسمع الزهرة الجديدة النباتات والدنيا ساجدة جميعا تقول  
مخاطبة الآلهة . محمك وجلالك ياسكمت الجبارة ليس فينا  
ملوث واحد غير نقي ، وان وجد اليوم أو غداً سوف

نذبه ومن حدائق الآلهة نظرده . . .

هكذا شبت سنشن في قلب زهرة طيبة الأريج عبق  
شذاها العجيب فسكن أحشاء المرأة وصلب الرجل ، وولدت  
على صورة فتاة لم تلب في خلقها غير يد (بتاح) القديرة ،  
ولقد أسبغت عليها الآلهة كل جمال وذوق فكأنها الخيال  
تجسد وباتت آية الآيات ، وربما خلقتها الآلهة على هذه  
الحالة لتكون ثواباً حسناً لأبيها الذي خدّم الآلهة زمناً  
طويلاً ، ورأي الكاهن أن يريها لكيما تصير كاهنة تخدم  
الأرباب فتقضى العمر تتعبد وتسترفد البركات وتكفر عن  
خطايا البشر . . . فعلمها الآداب ولقنها التمايم وأفهمها قيمة  
الشرف في الحياة الدنيا لاسيما أنها كاهنة الخالقين .

أشرق — في منف — سناها حينما كانت في المعبد  
سواء كانت كاتبة أو قارئة في أوراق البردي ، أو منشدة  
تراتيل إشعال النار في المباخر أو تراتيل القداسة أمام باب  
قدس الإقداس ، إنها فتاة عابحة تخدم الآلهة مؤمنة مثبانية  
في إيمانها ، تأتي كل يوم من بيتها محمولة على هودج فوق  
أكتاف العبيد وتظل تتأمل جدران المعبد الخارجية فإذا

ما استقبلها المدخل بواجبه المائلة الجدران تملؤها الأعلام  
المرفرفة كأنها قلوب تفتح إيماناً وخوفاً من الآلهة ، وقد  
اعتادت أن تضرب في مناهج المعبدين علي قدميها وتدخل البهو  
المستقرف المصد للأشراف ولكن اهتمامها كان ياب قدس  
الأقداس الذي بداخله مقاليد الحياة ، إن المكان لمظلم  
ولكنه مضىء كأجمل ما يكون الضياء . إنه جماد لا حياة  
فيه ولكن هنا معتمد رجاء من يحيون ويحسون .

قال الناس : — أعن أرومة آلهة انحدرت ؟ ما هذا  
الطهر وذاك الايمان بل ما هذا الجمال الذي كساه الايمان من  
برد الأرباب نوراً فغداً جديراً بالعبادة وقيناً بالتقديس ،  
فيالها من امرأة جميلة الجسد والروح معاً جذبت إليها  
الأنظار وتلاً لأنجمها في منف حتى بهر الناس فشكوا في  
إنسانيتها وراحوا ينسجون حولها الخيال ، وتناولها زعمهم  
منذ كانت طفلة في ضمير الغيب .

فاض النيل إحدى عشرة مرة منذ اكتملت عين  
منف بروياها وبدأ جمالها شعلة لا تستطيع الأفئدة إلا  
أن تكتوى بنارها ، أهديت إلي الدنيا من ربات السحر ؟

أم حبة من عقد آلهة انقرطت ونزلت إلي الأرض ؟  
أمعجزة أرادت بها الأرباب أت تعرف قدرتها على الخلق  
وبعث الحياة ؟ هي أبعد ما تكون عن سواد النوبة وسمرة  
مصر وبياض سوريا ، إن الناس لا يعرفون سر جمالها الساحر  
ولهذا قدروها تهديراً أعمق إلى حد التقديس ، وخطبها أحد  
الأمراء وأعدت العدة لأن ترف إليه .

جد الناس في إقامة الزينة على بيوتهم وأخفوا من  
توافدهم شرائح السمك التي اعتادوا وضعها ، وجد الجنود في  
إقامة الأعلام والرايات علي بوابات المدينة وتنظيم جموعهم  
التي ستشارك في الزفاف فأخذوا يحملون الرماح والتروس  
وجد الناس يغزلن الكتان والصوف لصنع ملابس يظهن  
بها في قران ابنة السماء ، وأقام الناس سوقاً يتعاون فيها  
حوادثهم ويتبادلون بضائعهم لينال كل حاجته من المأكل  
والملبس والنبذ والجمعة والقرايين التي سوف يقدمونها قرباناً  
للآلهة التي أنجبت سثن حبيبة الجميع ، قديسة الشرف  
والطهر ، وفي يوم كالحلم زفت ابنة السماء . . وزينوها ولكن  
الكحل خجل لأن عينها جمعتا سواد الليالي جميعاً وبياض

الأيام جميعا وعندما انتظمت في عقد النساء خجلن من ثيابهن الضيقة التي كن بها من قبل فخورات مزهوات وخجلن من الأصباغ والحناء المذاعة في وجوههن هامسة منادية الرجال أما الراقصات الرشيقات اللاعبات بالألباب فقد انسجن وبكين فما من رجل التفت إليهن بينما لم يرتفع طرف عن ابنة السماء .. انهن يحقدن عليها ولكن صه . انها ابنة السماء وهن بنات الأرض فهل يردن البروز عليها ؟

وارتفع النيل مرة جديدة وباتت تدعو الاله (تا أوريس) لأنها كانت جبلي .. وعن ابنة السماء انحدرت طفلة تعاونت الآلهة في خلقها فنفت فيها كل أجمل نفحاته ، ثم كانت الطامة الكبرى حين طلقها زوجها الأمير ، وكان أبوها قد مات فهل تشقي ابنة السماء ؟ انها من السماء لكننا على الأرض !

وتمزت عن مصائب الأرض بهبة السماء إلي ابنة السماء بالطفلة . ان الآلهة عرفت كيف تثيرها بأن تبعث لها هذه الهدية .. هذه الطفلة . وعاشت ابنة السماء لتزيدها الأيام جمالا كلما رأت ابنتها . كأنها زهرة تفتح على أشعة روع ،

عقدت النية على أن تربي ابنتها نفس السيرية التي لقيتها إليها  
أبوها الكاهن الكبير لتعطي بالبركات ، انها تحبها أكثر  
من المال ومن الجمال أكثر من كل شيء فرغم أن الفتاة  
صغيرة لا عملاً العين قد ملأت الفؤاد ، انها تربيها عالمًا في  
الحياة هامة خافتة ولكنها مليئة بالألوان والألحان ، كلما  
ضمتها إليها خشت عليها حتي لم تعد تفارقها إلا لما . ان  
الأمل الذي يتسلل إلى قلبها عن طريق الفتاة لا بعد أثرًا  
من كل شيء في الحياة . انها هدية الآلهة .

وما كادت الطفلة تشب نحو الحياة كما تنفتح زهرة  
اللويس فوق الماء على شعاع الشمس ، ما كادت تعي وتنقه  
حتى غضبت الآلهة فأرسلت شيطان المرض يريمها بآلام  
جسام ، ولم يجدي علاج الطيب ولا تعاويذ الساحر ، انها  
خادمتك أيتها الآلهة جميعا فلم يلهب جسدها حرارة كأنها  
حرارة رع ؟ لم ينفكك جسدها وتنحل قواها تفكك الهواء  
الساري والمحلاه ؟ الرحمة يا شوروب الهواء . هاهي تصلى .  
الرحمة يا إله الندي . لم ترسل قطراتك المتلاثة من عيني  
الطفلة ؟ أخيفي المرض ( ياخمت ) برأسك الوحشية حتى

يتركها ، يترك خادمتهك ابنة خادمتهك التي قضت العمر  
التقصير في محرابك كموجة تتلاشى على شاطئ صخري  
خالد ، وصلت ليها ونهارها ولكن المرض الذي أنك قواها  
وهذا كيانها كانت أجمل لا يستمع نداء الآلهة . . . ماذا ؟  
أيهوى نجم الأمل أيها الساحر ؟ لن يهوى اذا بذلت أئمن  
شيء . . . ان أئمن ما تملكين هو طلبة الآلهة . ولم يشف الطفلة  
تقديم القرابين ، لماذا يسوء مصير الفتاه أيها العراف ؟ قال  
العراف ان الآلهة تطلب أئمن ما تملكين .

لقد بذلت المال في القرابين والمال جمال الدنيا ، وهي  
تملك الايمان والايمان جمال الآخرة ، ورن كل شيء ( أئمن  
ما تملكين ) في النوم واليقظة ، في المنزل أو في المعبد . . . أئمن  
مالها هو الايمان . لكن الايمان ملك للآلهة في قلبك . أئمن  
ما تملكين أنت ، هي تملك شيئين قلباً . للآلهة وللطفلة ! وجسدا !  
أئمن ما تملكين ، كلا ! ان الآلهة لا تطلب من البدن متعة ،  
وتفاهم المرض وقالت الفتاه -- أماه أهكذا أموت . أما  
من دواء ؟ الألم في الجسد جميعه . أمى . أما من دواء ؟ رن  
صوت هامس أئمن ما تملكين . . . لقد قال أبوك ان الشرف

هو أئمن ما تملكين أفلا تذكرين ؟ يا ابنة السماء ، أمك السماء  
تطلب التضحية بأئمن ما تملكين . . . ورأت الطفلة تموت  
فهمت تستعد لتتقضى ليلة بين أحضان الآلهة ، وتطهرت  
بالنظرون وعطر بونت حتي تكون جديرة بأحضان الالهة  
وزينت صدرها بالحلي ويديها بالحناء وعينيها بالكحل ثم  
لبست ثياباً ضيقة تفصح عن جمال هبط من السماء وجسد  
اشتبهت السماء !

وترددت في الذهاب إلى المبدول لكن شيئاً صاح أئمن  
ما تملكين . . . أئمن ما تملكين . هذه فرصتك الأخيرة ،  
وأمام الالهة في ظلام الحجر ونور الأزل ترددت في  
ان تحسر القناع عن صدرها ولكن شيئاً همس أئمن  
ما تملكين . . . وكلما ترددت صاح أئمن ما تملكين الفرصة  
الأخيرة ، لم يرتفع بصرها على الاله ولم تره . كانت تنتظر أن  
يقول كفي ولكن لم يقل بل صمت وأغرى . انه يطلب  
أئمن ما تملكين . . . ووقفت عارية أمام الالهة . صمت ذلك  
الشیطان الهامس أئمن ما تملكين . لماذا ؟ أليس أئمن ما تملك  
قد قدمته لآلهة ؟ ولكن الصوت الشيطاني الهامس من

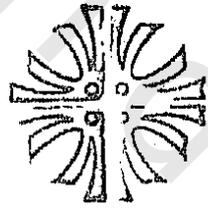
قبل (أثمن ما تملكين) صاح — لقد كشفت عن أثمن ما تملكين فلم يمد شيئاً ! صهقت ووقف قلبها فرقا ورعبا وماتت ابنة السماء حائرة لأن شياطين الأرض تتصيد بنات السماء ! !

\* \* \* \*

وتنفس الصبح في حديقة الكاهن . أطلت زهرة اللوتس من المنقع وكانت بيضاء كالأبتسامة ، وأطلت أخيها وكانت بنفسجية كالحلم كأنها تقول فليباركني بتاح لطهارتي لاجمالي . ان الطيارة عظيمة لأنها الجمال والجمال عظيم مادام سرّاً مستوراً ، وصممت شجرة الزيتون ولم تنطق الكرمة تلك المعجوز الخبزبون التي وهبها سيدشات بهض حكمته ، وإذ ذاك تهب عاصفة خفيفة تقطع بهض الزهر وتضطرب التماسيح في الماء وتدب الحيوانات المترسلة والطيور الجارحة والحشرات الفتاكة . ان سكت تلتقي عليهم درسا .

وتسمع الزهرة المخلوقات تقول وهي ساجدة : بحمك وجلالك وروعك يا سخرت العظيمة فينا نجمة واحدة

سنقتلها جميعا .. وإذ ذاك تسقط زهرة سشن على الأرض  
فلا تقبلها الأرض فتطير إلى السماء وليكنها ظلت طريدة  
الأرض التي هبطت إليها والسماء التي أنحدرت عنها !



## وراء الدخشان

وقفت بزورقها إلى جوار إحدي الصخور الناتئة  
كحورية من حوريات بحر الجنوب ، فارعة العود يسدل  
خلفها شعر كأبنوس الغاب ، عيناها من عيون النور تفيضان  
بالحب والحرية والذكاء ، هي صديقة هاتيك الصخور تحن  
إليها وتدعوها بأسماء الأشخاص ، تحن إلى الماء المتدفق نحو  
الشمال حاملا الحياة لأهل الوادي . وتلك الأعشاب البرية  
التي تكسو الصخور خضرة أخاذة ، كل شيء جميل ، الماء  
يعكس صورة الشمس حين يبدو العالم للعيان ، وفيه تسبح  
النجوم حين يتخفي الليل برداء الحب المجهول ، ويعوم فيه  
القمر فيفضح أسرار الأمواه والصخور ، ويطل على المكان  
معبدك يا إزيس يا من من دمعاك جرى ماء النيل ، وظلمات  
تبكين بملك الخبير المقتول حتي عاد إليك ، أيها المعبد  
انك أنشودة يتغنى النيل بها ممجداً الهته العظيمة ، ان لهذا  
المعبد لذكرى للنساء وللرجال على كثر الغداة ومر العشى ،

غنت بصوت حنون صافٍ كسماء النيل في يوم صيفي ،  
صوت ينساب في لطن الوادي كأنما هو نضات آلة تمزف  
عليها حوريات كايوباترا الملكة الفارقة في نشوة الحب ومجد  
الحياة ، بالصوت الفتاة من صوت وياقلبها من قلب ، قلب  
يمكس صورة الأمواه المائجة في يوم الزوابع والأعاصير ،  
ان خفقات ذلك القلب لتختفي في صخب الجماعة ومشية  
الأقذار كما تنتهي الموجات متفانية متهاكة إلى شاطئ قلبه  
من حجر ، أنها تبكي فلماذا تبكي في الشروق وقت البدء  
وقت الحياة والحب والأمل ؟ انه ذلك الفتى الأسمر  
السميري المفتول العضل اللامع الجلد تحت الشمس وقد  
بدت ذراعاه في قوة بناة الهرم ، انه عاة القلب وأمل الحياة  
كم رسمت له في خيالها الصور ، كم غنت وسط الصخور  
وفوق عشبها الوحشي ، على قمة التلال في غرب النهر في  
حزن لهذا الحب الذي جعل من قلبها مبخرة تحرق فيها  
البخور للآلهة ، ياله من فتى ، انه الأمل واليأس ! كانت  
وحيدة فهي في حاجة الى شريك ، وكانت ضعيفة فهي في  
حاجة الى قوي وكانت شاعرة مرهفة الاحساس واسعة

الأمل فهي في حاجة إلى من يحقق أحلامها الكبيرة التي بنتها فوق الصخر ، إنها أرادت أن تبني بيتاً فوق صخور النهر يجاور معبد إزيس ولكن رب الدار جعل أساس البيت فوق الأمواه ، أقبل الفتى المفرور بشبابه الذي يرغب الحركة والحياة ، يرغب الحب والمغامرة والثروة ، يرغب الساحات المعجيات به اللواتي يصدقن عليه آيات النعمة والرخاء مما يشمل نفسه شهوة في الحب والمغامرة والثروة ، أقبل وييده لفافة تبغ ضخمة وضمها في فمه وفي إعجاب أخذ ينفث دخانها المعطر المنعش ، كثيراً ما حاول الهرب من لقاءها وطلما سخر من أغانيها ومن صوتها ومن حبها ، انه ليعرف حبها ! ولكنه يعمى في الدلال والتمويه ، انه يتعمى متخدماً من دخان اللفافة ستاراً .

قالت له ، يا صاحبي إن أحد السامحين قد عرض على الذهاب معي حيث أشتهر بصوتي الذي أعجب به فماذا تري ؟ فأجابها بكل برود — خير لك أن تذهبي .

ولسكنها لم تذهب وانتظرت عاماً آخر احترقت فيه شمعة صبايتها واهتزت زهرة جمالها اهتزازاً غنياً كادت

أعاصير الحب القاسي أنت تذهب به ، صرت بازيس  
وأزوريس وحوريس ، أسماء جزرها النائمة وسط النهر  
وهتفت لها أنشودة :-

إزيس ، بنلوب ، يا إلهات الاخلاص ، لقد عصفت  
بجمالكما عواصف الزمان فبقيتما أكثر صفاءً ونقاءً .  
آه يا صديقتي ! ما أوفى المرأة ! وما أقسى الرجل  
المغرور بشبابه وصبابه ، ما أقساه على النساء اللواتي يجرين  
وراءه خاضعات ظانات أنهن يحققن بذلك قصور المستقبل  
على الصخور فيأتي الثرور لينبها فوق المياه ! إنهن بنشدن  
عشاً هاتفاً هادئاً وبنين وبنات وهو يتطلع إلى الأفق البعيد  
متوثباً على فرصة حظه ومغامرات شبابه ، ما يكاد يشرق  
في الأفق شعاع حتى يسرع السير في الطريق باحثاً عن آماله  
مغامراً بشبابه غير مفكر في العاقبة التي يظل بعدها صريعاً  
إلى جوار أشلاء قصوره المحطمة ! ماذا أنت فاعل بقلي ،  
أنت يا من احتواك القلب كما تحتوي الصخرة على اللباس ،  
بل أنت يا من اختلطت بقلي كما يختلط المطر بالماء ، انك  
تهمني وأنت شمس حياتي فيالظامة أيامي !

لأكن كمية من التراب فهل ينقص من قدر الشمس  
أن تشرق فوق التراب؟ أينقص قدر الشمس أن تبث  
الحياة إلى كل الكائنات، كلا إن الشمس للجميع وأنا  
أريدك لي وحدي، أنت روحي فكيف أعيش بدون  
روحي، وإن أردت أن أموت فكيف أموت بدون  
روحي؟

تركتني يا حبيبي حليفة الشقاء حتى بروضتي المعبودة  
قد حلت خبائث الشياطين فألهبتها حباً مجنوناً تزيد حرارة  
الشمس ناراً، بالشعور قد نظرت الحياة، والشعور حزين،  
وسحب الشتاء المظلمات على روحي جائحة والعمر ربيع  
والدنيا صيف ذهبي).

قابلته بعد ذلك فقال إن الحياة هناك مشبعة بالذهب  
يتلألأ على أرض القصور المرمرية، اللهب الجميل والليالي  
الساهرة والتمانيات اللواتي شبيهن بالجن في السحر والدم  
بالقلوب، هناك الليالي الحمراء يحمل فيها الليل كؤوس الراح  
إلى المرحين من أبناء المدن فيددمونهم، ويدعهم إلى  
الصباح في نشوة الأحلام، إذهي ولعلي بك لاحق، إذهي

يا ابنة الجزر ، وعاشقة النجوم وعابدة الشمس ! لكنه كان  
حلمها ، هي تزيد الهدوء والزواج وسط الجو الذي ألقته وهو  
مناسر راغب عنها راغب في المغامرة ، ينتظر السائحة المترفة  
المعطاء التي تحقق أحلامه في الحب فيقضى الليالي ينفى إلى  
ظلها الخفيف ويهديء حرارة شبابه الثائر ، ينهل من رضاب  
كهثري الشمال وتفاح أميركا المعبود يتألق في الصدور ،  
تفدق عليه المال بلا حساب فيضحي ثرياً محسوداً ، المغامرة  
هم الشباب الطموح ، المغامرة بما في العلياء ، الصعود نحو  
المجهول .

تركت ابنة الجزر في كل جزيرة أغنية حفظتها  
الصخور ورددت صداها الآفاق وتناجي الوادي الواسع  
بترانيم ابنة الجزر وأصغني صوتها على المعبد جواً من السحر ،  
وردد كل شيء أناتها الشاكية وإلى آذان الله ارتفع صوتها ،  
ثم آية تركتها ابنة الجزر في كل جزيرة ، عاشت تلك  
الديار برهة من الدهر في حلم من أحلام الحب المذبذب  
وانتشرت فوقها سحابة خيال حتى راحت تنشد للقمر  
أنشودة غرام في خفاء الظلام ، وانساب الأمواه قريباً من

الشلال حاملة مؤملة دون أن تعلم أنها ستبوى إلى وادي  
سحيق ! يا ابنة الجزر للجزر من متعة وانفسها من شقوه .  
وجاء الشتاء ، موعد السائح ، وحان للحلم أن ينقضى ،  
وتوارى الفتى الأسمر السميري القوي متعامياً وراء دخان  
لقافة التبغ ، بكت مع الفجر وجفقت حراره الشمس  
دموع الأرض ولم تجفف حراره القلب دموع العين ،  
الوداع أيتها الطبيعة الرائعة ، الوداع يا أمي الطبيعة ، الوداع  
أيها المعبد يارمز الوفاء ، الوداع أيتها الجزر النائية وسط  
الأمواه ، إن قلبك الصخري ليسمح للماء بالمرور ، إنه خير  
من قلب الانسان ، إنك أيتها الجزر إيزيس ، أزوريس ،  
حوريس ، بنلوب لأحن عليها من ذلك الفتى المغامر بشبابه  
المزهو بقوته ، تهادت بزورقها الضعيف المتهالك فوق  
الأمواه كحلم حزين ، ورن لحن الوداع في بطن الوادي  
فكانما بأشباح الغرب تهب حسره وأسفاً وكانما بكاهنات  
المعبد خرجت تشارك ابنة الجزر حزنها ، وكانما بعرائس  
النيل وحوريات النهر جئن باكيات فنزدن ماء النهر ،  
وكانما مرده النيل الجنوبي تنفث النار غيظاً لفراق من كانت

تهدي» بصوتها العاطفي شعلة نارها... وكان شتاءً وممع ذلك ازداد ماء النيل فكيف زادت والصيف لم يأت بالفيض أتبكي إزيس مرة أخرى فتزيد النهر في غير موعد ؟

لقد عاشت بأحلامها فهل تحب غير أشباح احلام الحب المتداعي ، هناك ، الذكريات ، أيتها الكائنات انها تبنيت الليلة الأخيرة بواديكم الوحشي ، وعلم الفتي الأسمر السميري فحن لها ونادته الكائنات الحزينة ليرجع الي ابنة الجزر حيث الدعة والاستقرار ، وراحت تبني في خياله قصور الآمال ولكن سائحة امريكية أشعلت في قلبه رغبة المغامرة فحرق القلب قصور الآمال وبقي القلب ينبض ولم يحترق ! نامت ابنة الجزر ليلتها الي جوار القصور المحترقة حتى الفجر فأطفأ النار الهزيلة الباقية بالدموع ... وعلت الوادي السحب فبدا كثيباً رهيباً وظلت دموع الفجر فوق المبد والصخور ، وتركت الفتي بلا دمع وتركت الصخور بدموع . رحلت فوهبتها الآلهة الثراء من صوتها الحنون الهامس بلحن من السماء ، لأنه صوت أرادته الطبيعة ان يكون ممبراً عن مفاتن ومحاسن آياتها ، ولقد كانت فتاة

شاعرة بالفطرة ، والشاعر بالفطرة يحب حباً عنيفاً في بدء حياته وهو وان تخيل حياته رهينة بذلك الحب فاللهم أنت القلب يبحث عن مثله العاليه ، فسرعان ما ينسى ، وهكذا نلت فتاهها المغرور وشغلتها مغريات المدينة فأجبت شاباً وسياً تمنها وشغلتها شئون الثروة والمال ، وبصوتها الرائع قد سمع الناس فتهافتوا عند الأقدام ووهبوا الذهب فذهب بعقلها في أول الأمر ولكنها بدأت تختار وتتمنع لأنها شبعت ، حتى إذا أثقلها حمل الذهب اقتصرت على فتى واحد اللهم الا بمض ذوى الحول والبطش ، أو ذوى الشباب النادر في بعض صفات تحسن او تسيء اختيارها ربات الخدور ، وربما سمحت لها الآلهة بهذا السقوط لأنها كانت الهة عاشقة ! وهكذا أذاع الناس عنها الأفاصيص وسمع بها فتاهها القديم فاختلطت تلك الاشاعات بالنار في نفسه ، أتمدد اشتعلت نفسه اذ وجدها من تحقق الأمانى في المغامرة والثروة والحب ولكن هل ممكن ان تعود ؟ ان عادت فهي لا تصبح محققة لمغامراته وان لم تعد فهي عظيمة بها يحيط الخيال والأحلام ولكنها تشعل نفسه شوقاً ورغبة جارفة فما

العمل ؟ ليرحل الي بلاد النور عله يصيب شعاعاً ينير حياته  
من ذلك النجم المتألق ، وترك الطبيعة الوحشية إلى المدينة  
الرفيعة الانيقة ، بعد أن جمع ماله من مال ومتاع فابتاع  
قاربا ينقل هواة الطبيعة فيسير بهم نحو أحلام مجبولة قريبا  
من المنازل المائية التي تحاول بأنوارها تبديد أحلام الليل  
وذات مساء سمع صوتها — وقد أسكر النيل ( عينك  
عين ماء في الحب إن لونها مزيج من لون النيل والذهب ،  
ماذا في عينيك من سحر ؟ وهل هما مستقلتان عن بقيه  
الجسم ، إن الشمس تشرق بنورها ولكن احداً لا يعرف  
ما هي على وجه التحقيق فمن صعد الى الشمس ؟ من ؟ ومن  
عرف سر عينيك ؟ من ؟

لكنك بشر والمعاشرة تكشف أسرار البشر ، اذذاك  
تعرف الحقيقة وهي ألا سر على الاطلاق فترجع باكيا  
بدموع غزار وتقول عيناى عين ماء في الحب ،خذ الحذر  
ولا تحب ، دع الناس تحب الشمس وان أحببت الشمس بشرا  
لم تعد شمسا . ولكنى بشر ذو قلب والحب في القلب  
والدمع في العين ، حقا ان عينيك عين ماء في الحب وحتى

الشمس الشمس تحسب والا فلم تستر حزينه في بعض  
الأحيان وتترك الغمام يرسل الدموع الغزار عينك عين ماء في  
الحب ، هذا هو سر عينيك فلا يبهرك سر عينين جميلتين  
فانك لست أعظم من الشمس التي تبكي احيانا من الحب  
رن الصوت خافتا كحلم مقدس ، واتتهي تاركا  
الكون في نشوة وأطبقت الأمواه أجفانها فبات كمن  
ينغو إغفاءة ساحرة ...

وفتانا يحترق لوعة ، أشمل لفاقة من التبغ وأخفي وراء  
دخانها دمعاته ، لأن دموع الرجال عزيزة فهم يخفون بكاهم  
دلالة كبرياء الرجوله

وذات مساء ... لمحا من زورقه وكانت تحي حفلا في  
أحد المنازل العائمة وبان في عينها السحر وتناثرت حولها  
الرغبات كالهمة المشق ، فهم ليقابلها ورفع مجذافيه وسار قليلا  
والتفت ثانية فاذا بجوارها رجل أنيق كأنما يناجيه مناجاة  
العاشق الولهان ... وبخائة ترك المجذافين يهويان على صدر  
الماء في عنف وثوررة ، وأحس الرجل شيئا ثقيلا يطأ كبرياءه  
كأنما ذلك كان حذاء الزمان يطأ قلبه في احتقار عظيم .

ورجع الي الجزر الحاملة فاستقبلته بابتسامة ساحرة  
ولأول مره ذاق طعم الحرمان فصادق الجزر وأطلق  
عليها أسماء الأشخاص ، انها الوحيدة التي لا تأتي صداقة  
اللاجئين ، وكأنا برز له أحد هذه الصخور هامسا في أذنه  
أيها الرجل القوي ، إن فتوتك جعلتك تطلب أكثر مما  
في يدك

بكي واشعل لفافة يستر وراءها الدموع ولكن الرياح  
اطفأت الثقب فباتت دموعه ولم يسترها الدخان .  
لقد بكي فقد عرف ما وراء الدخان !



## الفداء

منذ البدء سرت روح في واد كساه الليل غموضاً ،  
كانت الطبيعة حـزينة في مسوحها السود ، وتحت أشعة  
ضئيلة تنبعث من النجوم التائهة في الضباب ، جلست غادة  
مفتان وقد انضم ثوبها الى اجزاء جسمها ، كانت المرأة  
حزينة هي الأخرى ، وكان ثوبها الضيق الاسود الحزين  
يزيدها جمالا ، كانت في المبد ايضا تدعو الى النفي والفتون  
وعرفت الروح علة الحزن . فالطبيعة حـزينة لأن  
الإنسان لم يفهمها فهما فنيا فما استوعب آياتها ولم يرتبط بها  
ارتباطا روحيا خالصا ، وكذلك كانت المرأة فلة الحزن هي  
أن الرجال لم يروا فيها غير أني دون أن يعرفوا أن قلبها  
مصباح يضيء لهم جنان الجمال وشراع يسرون به علي أمواج  
بحر الحب ، ليرسو عند قصر الفن .

وهمس صوت في الوادي المعلق يخاطب تلك الروح -  
ان الحياة في حاجة الى قلب كبير يرقق شعورها ويقر بها من  
المثل الأعلى ويحقق الجمال والحب والايان ، الحياة في حاجة

الى روح تضحى وتكون للبشرية فداءً فمن يسمع  
صوت الرب؟ اذهبي ايتها الروح الى الأرض لتكوي النار  
المقدسة التي تحرق الشرور فتنتشر فوق الأرض نسائم  
الرحمة وأزهار الحب ومعابد الايمان ..، اذهبي واهبطي  
من محلك الأرفع ايتها الروح الشاعرة الفنانة ..

هبطت الى الارض تلك الروح الشاعرة الفنانة  
وارتدت ثوباً من طين . هبطت منذ البدء من بين  
النجوم اللوامع

وفي احضان غابة لفاء اكتنفتها الاحلام ونامت عند  
أقدامها بحيرة لامعة العين براقعة الأمل أقام ذلك الشاعر  
الفنان معبداً للطبيعة وأراد بعد ذلك أن يقيم في صدر المعبد  
صنماً للمرأة ليعرف الناس أنها روح في جسد لا جسد بلا  
روح ، وكان عليه أن يتخذ من بنات الارض وحياً  
لصنمه المعبود ...

سار في الحياة متأملاً السماء وأراد ان يرسم بخيوط  
الشمس الملتهبة رسمه المنشود ولسكن الشمس سرعان ما غابت  
كان يرى في السماء ألواناً رائعة مزج فيها الدم بالذهب

باللازورد . مزج فيها غبش الفجر بأطياف السحر . لقد كان ذلك اللون الرائع هو الستار الرقيق المسدل على وجه السماء تنفذ منه الى اذنها الأدعية والصلوات ، عنده تتضاءل اصوات الارض فتستحيل الصلوات مخورا شفافا ، عند ذلك الستار يتمثل أعز وأرفع ماء كمن أن تتخيله الارض في حين أن ذلك الستار غلالة سحرية هبطت من تحت أقدام الرب لتكون على هامة الارض تاجا رفيعا ، لم يكن يحسب الشاعر ان للجسد قيودا وانه يتمب سريعا ويبيلى سريعا ، لقد تمب من السير فرأى أن يستريح ورأى قرية تقوم على الجبل وارفة الظلال دانية القطوف ، يسادى التفاح والورد للقبل وتطل الكروم على الارض في سكون الشيخوخة الحكيمة ، هناك أراد أن يستريح لىكن سمع انفجار البركان ، أسفاه أن الارض الخصبه تكون كثيرا حول البراكين ! وجد في طريقه وردة لم تتفتح فظن أن سر جمالها في قلبها ففتحتها فلم يجسد بها سرا ، جمالها في ان تري أبعضه ومن أراد أن يرى الجمال كله لم ير شيئا ! لقد تناثرت تحت أقدام الريح اوراق الوردة البكر كما مال الموتى

يعصف بها الزمان .

وعند ما سار في طريق الحياة والناس رأي خارج  
المدينة لصوصاً يفتحون مقبرة ميت لأنهم عاموا أنه ابتلع  
قطعة ذهبية في جوفه ، ورأي شحاذاً رهب للفقراء ماله  
فاغتسوا وأصبح هو شحاذاً ، ورأي امرأة تزني ليكون  
أجرها تمناً لدواء ابنها المريض ، وأخري تفعل ذلك لتعيش  
فإذا أصبح الصبح احتقرهن الرجال الذين كانوا بين  
أحضانهن ليلاً ، ورأي الشاعر رجلاً يسرق ليكون  
المسروق أجر علاج أمه ، فإذا أصبح الصبح أتهمه الطبيب  
العظيم الشأن بالسرقة بعد أن استخف بالأجر ولم يعالج  
المريضة ، لقد رأي دنيا عجبية يتطرف فيها الخير فيصبح شراً  
ويتطرف فيها الشر لكنه لا يصبح خيراً .

رأي الشباب يتبرم بالحياة ورأي شيخاً تحت شجرة  
مثمرة يقول — أيتها الشجرات ، في كل ربيع تزهرن  
فتكون الزهرات عصارة أحلامكن وقبل شبابكن يهبها  
حباً وهياماً بالهواء والأضواء ، ألا ما أشقى الانسان يزرع  
الشجرات يتجدد مع الربيع شبابها ويموت هو في أجمل

ساعات الربيع وقد تأبى الشجرات أن تظلل قبره المهجور .  
أدمت عين الشاعر السوداء على هذه الحال ، عينه  
وحدها وهي أشد سواداً من جلد الشيطان هي التي تمبر  
عما أحسه نحو هذا الكون . ورأى الناس في ظلام فهم في  
حاجة إلى النور ليروا وإلى النار ليتطهروا ، فاعتزم أن يقدم  
النار المقدسة لتحرق الشرور ويكون منها النور ، هناك  
قريباً من المعبد اقتلمت روحه جسمه كأنه حذاء قديم ومن  
شعلتها المقدسة أشعلته ، وعلى ضوءها رأى الناس المعبد . هام  
الروح في الأرض يبحث عن غادة تكون للصنم وحيماً  
ووجدتها على شاطئ البحيرة تبني على أمواها قصور الحب  
الحاملة الهائمة مع الموج والنسيم وقد دفعها النسيم فتدافعت في  
نشوة وهمت النسائم في صدر العذراء فبان عارياً كحلم  
خبيث يمر بمخيلة ناسك ، وتعجب الروح لأن هذا الصدر  
مهد الرضيع الذي يفيض قداسة وطهارة وهو الذي اشتهاه  
الرضيع لما اكتمل وجدانه ونضج فكره !  
كانت هي الوحي ، لكن الروح أحب المرأة فقال  
لها — لا تخافي يا بنت حواء ، أنا روح الشاعر الفان همت

شريدًا في الأرض تحت أضواء السماء من أجل السعادة  
الحقة للبشر حرقت جسدي فوق الجبل المقدس فكان  
للناس نوراً وللشر ناراً ، لقد كان ذلك هو النور الذي  
يرشد إلي طريق معبد الحب والفن والايان في الغابة اللغناء  
التي تحت أقدامها بحيرة لامعة العين براقعة الأمل ، حيث كان  
يصيح البغواء فيحسبه الناس أكثرهم فصاحة وبيانا ، لقد  
أحببتك يا بنت حواء فمن شيطان الهوى صونى جسما عشقته  
من السماء روح .

تأملت الروح أطياف السماء ذلك الستار الرائع  
المسدل على وجهها تنفذ منه إلي أذنها الأدعية والصلوات ،  
وأقامت الروح حولها دنيا عامرة بالحب والفن تنتهي وتتوج  
بالايان ، وهبت نسمة حارة على جبين المرأة .. كانت قبلة  
الروح على جبين الجمال ، وراحت الروح ترسم المثال المعبود  
بالوان الأطياف السماوية ..

تأملت المرأة تلك الاطياف بعد رحيل الروح ثم  
تأملت الطبيعة بظهورها وأزهارها فكان فيها الحياة والحركة  
لأن فيها الحب وكان فيها الحب لأن فيها جنسين الذكر

والأنثى

ومن أقصى الغابة أتى فتى ريان الشباب فارح العود  
يتغنى بالحب ويتفتح قلبه للهوى كما تتفتح بمض الأزهار على  
أشعة القمر ، انجبت نحوه كما تتجه الزهرة عابدة الشمس  
نحو الشمس ، فإما رأته أطياف السماء تذكرت الروح  
ولكن الجسد أخرجها من أبراج الروح .  
ورأت الروح ما كانت فقال - إني الشاعر الحزين  
الشريد الطريد ، إني أمثل الناحية الحزينة من هذا العالم لأنني  
أحسها ، إني أنا نجم هوى أو طير جرح ، أو مريض عذب  
أو حبيب حرم ، أو ورد ذبل ، أو مصباح أطفئ ، إني مقبر  
في الحياة ، إني القصيدة الحزينة التي ينشدها القدر كلما طاب  
له أن يتسلى بالأشعار ، ويحى إني لن أرضى بالهزيمة ، إني  
صاحب كبرياء عنيفة ، يجب أن أتقم من المرأة التي هبطت  
لكيما تسمو قيمتها ، سوف أذهب إلي القبور وأتخذ لي  
منها جسداً بالياً لأن المرأة سوف تحبني إذ ذلك ، فإذا  
فعلت تمردت عليها ، وفعلت نفذ ما أراد وعاش بين الحب  
والتمرد لكن شيئاً واحداً هو الذي آلم الروح ذلك هو

علمه أن أطيايف السماء التي وآها لم تكن إلا ظاهرة طبيعية  
تكون هذه الألوان حول ذرات التراب في طبقات الجوا  
وحل في الغابة اللفاء الحزن والأسى فبدت أشباحها  
تحت الأضواء الشاحبة كأنها أكف شياطين تمثت بمعابد  
الحب والفن والایمان ، وبدت سعفات النخيل تهتز في تراخ  
كأنها مجاديف سفينة تسيرها الشياطين في منقع الحياة لترسو  
بها عند تيه الموت ومقابر الفناء ، وانظفاً البريق من عين  
البحيرة وكم أنفاسها ضباب مسمم ودعت الكائنات الله  
أن يجزي المرأة على جنايتها فاستجاب الله فوهبها قلباً يشتمل  
هوي ليحرقها ، وجسماً ضعيفاً لا يحتمل اللهب ، وعقلاً يحرق  
صاحبه بلا لهب .

أما تمثال المرأة الذي أقامه الروح في المعبد فقد هزته  
العواصف فهوى وتحطم وبقيت الرأس وفي كل فجر يتساقط  
الندى عليها وينحدر على وجنتيها كأنه قطرات الدموع !

## الجمال الأثم

إن الشيطان طموح يقطف أجمل الأزهار ،  
فانظروا لجمال ثمرة أسرع الى التلوث  
بجرائم المطب

حدائق فرعون نائمة علي ذراع النيل ، ودرجات المعبد  
الرخامي تتبادي الي مرسي الشراع والزوارق ، ما أجمل  
الدنيا : سرت النشوة الي القلب كما تنسكب أشعة الشمس  
في كؤوس الزهر ، وتمامات الراقصات مع النغم تمايل  
الأزهار بين أحضان النسائم .

بدت اجراج البردى في الوادي متعانقة ، كانت قبلاً  
مظلمة . وبدت زهرات الجزيرة صفراء كالذهب ، لكنها  
كانت في لون الغيرة والبعض اتلاهبف الموج الي قبل الدرج  
الرخامي ، لكنها فنيت قبل الوصول ! وبدت الشمس تقبل  
سطح البحر بشفاه ذهبية ، كانت الشمس تحترق والبحر  
كان مظلم القلب ! كانت الدنيا جميلة في أعين الناس لكن

الكائنات غير الناس .

الأميرة ! كالمهة .

توجها النسر الذهبي وقد اسدل تحته شعر ركز فيه  
سواد ألف عبد نوبي ! كانت هي الحلم السعيد المرفرف علي  
شفقة النيل ، كانت هي المرأة التي تركز فيها أحلام الشباب  
والحب ، كانت أجمل زهرة في أتلام حقل الآلهة حين  
أرادت أن تفلح أرض النيل ، ولكن الأميرة كانت غضبي ،  
رأى الناس العالم جميلاً لكنهم لم يروا الحق في ذاته ...

كانت الدنيا جميلة ، كانت الدنيا الفرعونية التي تعبد  
الجسد وما يجسره من حب الظهور ، كانت الدنيا حائرة  
غامضة ، نامت تماثيل ابي الهول علي جناب الدرج الرخامي  
في ابتسامة غامضة ، وبدا القصر الملكي رائماً لكن تحته  
قباب تجلس الحسرية ويعيش فيها العميد ، والقلمة شيدت  
للأحياء زينة ، شيدت لتسايمهم الحياة ، آه لهذه الدنيا التي  
تعبد البدن .

كان علي الأميرة ان تختار أحد اخوتها زوجها ، كان  
كلهم يقتتل ليحظى بها ، كانت هي الجزيرة الالهية التي

تحيط بها بحار الدماء ، كانت منحة الدنيا لأن الدنيا كانت  
تعبد الجسد اذذاك ، احبوها لجمالها الذي كان يقطر عسلا  
ولبنا أمام جياح الحياة أحبوها كأساً على مائدة الحياة  
شبية ، أحبوها حبهم للحياة ، أحبوها لأنهم يحبون أنفسهم ،  
تهافتو عند أقدامها راكبين ، لقد عبدوا الشهوة ، وكان  
الأميرات يحسدها على سعادتها ، نعم انفسد كانت أسعد  
أمرأة .

لكنها لم تختار أحداً لأن الظلام قد حل وهي لا ترى  
الا في النور ، حل المساء علي وادي الجسد الخالد فبدا النيل  
أسود من الابنوس ، والتخت بعض الكواكب بالضباب  
ونامت غافلة عن الوادي ، ولاحت بعض الكواكب بين  
الأشجار مثل السمك في الشباك ، ولما بات الزهر النضير في  
غرفة الأميرة راح ينفث السموم .

ويح الذين يعبدون الجمال وحده ، دون أن يعرفوا الألم  
الذي يسببه ، لقد برز من صدر الأميرة ثمرة تان ناضجتان  
دفتتا أشواكهما في القلب وبديتا بلاشوك وهي وحدها  
تحس الأشواك لأنها في داخل نفسها والناس يرون الثمار

وحاها ويشتهونها بلا شك ، بالشقاء قلب يكسوه جسم  
جميل في معابد الجسد . آه للنور الالهي حين تجسه أعمدة  
ضخمة في معابد الحجر ، ايتها الحياه عابده الحجر متمثلة فيه  
نفسك ، ايتها الكائنات عابده الجسد كما ترى المرآه المظهر  
ولا ترى سواء ، أكل ما لم يظهر في المرآه المعدنية لا وجود  
له ؟ اليس وجود المظاهر على سطح المرآه ولا وجود لها في  
قلبها ؟ اليس القلوب خافية لا تظهر في المرآه ؟

نامت الطيور حاملة بغدها وعاد الثبان الى جحره ،  
وسهر الجسد علي لذاته ولكي يشيع الجسد سلطانه أخذ  
يقص أحاديث الهوى وكيف فرقت المرآه بين الشقيقين ،  
وكيف باع احد عباد اللذة ماله واولاده في سبيل متعة بدنه  
لحظة عابره ، لقد عاقبوا على الفسق لكن الحياه تقوم علي

الجسد !

كانت الأميره الجميلة غريبة عن العالم لأنها لا تجد دنياها  
في دنيا الجسد مع ما لجسدها من عباد ، في سوق الحياه لم تبع  
أجل زهرة في الحياه . لما غلا ثمنها عذمت المشتري ومن  
الذي يقدم قلباً في دنيا تقوم علي الجسد ؟ لقد كانت حزينه

ومع ذلك قال النساء أنها أسعد امرأة لأنها أجمل امرأة .  
ويحكى بانساء ان الجمال متهمة لغير صاحبه وليس متعة نفسه  
لأنه لا يري نفسه !

فهل كانت الأميرة عميقة الشعور بحيث استغرق  
حياتها وحده ولها جسد يغذي آلاف الأحياء ؟ أم أنها  
كانت حائرة في اختيار الزوج ؟ أمممكن أن تكون المائدة  
حافلة بآكال البدن ولا يعينها أمرها ؟ إنها تفكر في حسنها  
بل وتستكثره على فرد واحد ، لماذا لا تحب اخوتها جميعاً  
وتشتهي الشباب جميعاً ، من المـدلل أن يشرق النور علي  
الناس جميعاً لا على فرد واحد ، تلك سنة الجمال الالهي ،  
ولكنه شرير فكيف هو الهي ؟ إن إله الخير أخ لاله  
الشر ، الخير والشر أصلهما واحد فلا يتميز النور إلا بالظلام  
فلاظلام الفضل في معرفة النور .

قالت الأميرات — إن اختنا عظيمة نبيلة تعيش  
بالروح ، الحق ان اختنا نبيلة طاهرة ا  
استمتع بها الأخوة ، فقال لها الأول — عندما أموت  
لا أريد جوارى من متاع الدنيا سوى عينيك .

وقال الثاني — أنت واحدة ولكنك متممة دنيا بأسرها  
وقال الثالث — جسمي مستغرق فيك فكيف أصفك ؟  
وقال الرابع — لقد كنت الرجل وكنت أنت المرأة  
ومع ذلك فأنت الهتي .

وقال الخامس — لم أركأسا تشرب حتى الثمالة وتبقي  
كما هي إلا أنت .

وقال السادس — كيف تبقي الإلهة على جسد يسلبها  
كل سلطان ؟

وقال السابع — لقد أذنت ولكن عندما يحاكني  
أزوريس في الآخرة سوف أغريه بك .

وقال الثامن — أنت التي تخلقين الروح حين تهين  
الجسد .

ورأي كل من الأخوة صورته في المرأة الساحرة  
والمرأة الساحرة لم تحتفظ بأى صورة الا حين تكون أمامها  
وعاشت بلا قلب ! ومع ذلك هي حائرة تفكر في جمالها  
تعبدته وحده فلم تعرف الروح ولهذا كانت عظيمة الخطر  
لأن غايات الجسد لا يبدروها تخفف منها وترقق حواشيتها

أحبت الجميع لأنها لم تحب أحداً أحببت الشباب لأنها لم تحب  
شباباً ، أحببت جسدها لأنها لم تعرف روحاً ، لو لم تعرف  
انها جميلة لكان الأمر ولكنها تعرف ذلك وتمتزه به بل وتعبده  
ويح الرجال لقد عرفوها ذلك فقتلهم بذلك وقتت نفسها  
بذلك ! هي تافهة التفكير لأن جمالها يستغرق كل تفكيرها  
عاشت تافهة لأن الجسد كان محور تفكيرها ، وعاشت في  
كل رذيلة واحتقرت معنى الانسانية في ذاتها لأن تفكيرها  
كان حيوانياً ومع ذلك كان جمالها الهيا باهراً ! وماتت  
صغيرة بين الحيرة والغرور ، فـويح للشيطان الجسد حين  
يستولى على أجمل الزهور ! لقد رأى الناس الجمال جميلاً  
لكن الجمال لم ير نفسه ولم يستمتع بذاته ، انا لا نرى  
الحق في ذاته وانما نراه بمنظارنا !

---

وقعت بعض أخطاء يسهل الاهتداء اليها سببها ظروف قاهرة  
فارجوا المذرة